

الفصل الخامس

الأطفال التوحيديون وعائلاتهم

الفصل الخامس الأطفال التوحديون وعائلاتهم

مقدمة :

ربما يكون اكتشاف الآباء أن طفلهم طفل توحدي هو أسوأ خبر في حياتهم. ومع ذلك فإن هذا ليس نهاية العالم ، ولا نهاية الأسرة . والحق أن وجود طفل توحدي بالأسرة يعتبر أمراً ضاغظاً ويمكن أن يقيد الأسرة في معظم الأوقات ، ومع ذلك فهناك عدة طرق للمواجهة . وستجد الأسرة سبيلها وستسلك طريقها في التحدي ؛ ولكن على الآباء أن يطمؤنا منذ البداية أن ذلك ممكن وليس ضرباً من ضروب الخيال ، أو لونا من ألوان المُحال . قد عاشت آلاف العائلات وبينها أطفال توحديون ، وسلكوا نفس الطريق ، ووردوا نفس الموارد ، وأثبتوا للجميع أن الحياة ليست مستحيلة .

وليس من شك في أن كثيراً من الآباء يقلقون وينزعجون وينشطون بخصوص وجود طفل توحدي في العائلة ، وأثار ذلك عليها . وربما يتساءل الآباء: هل سيكون سلوك طفلنا شاذاً جداً بحيث يدمر حياتنا اليومية ؟ وهل سيلقي سلوكه بنا إلى التهلكة ؟ وهل سيدمر إخوته ، ويوردهم موارد الهلاك؟ وهل ستنتهي حياتنا الأسرية إلى الأبد؟، إلى غير ذلك من الأسئلة التي تشغل اهتمام آباء الأطفال التوحديين .

ولعل الجزء الأكبر من قلق الآباء يكمن في خوفهم من المجهول . ولكن عليهم أن يتذكروا أنهم ليسوا بدعاً من الآباء في ذلك ؛ فقد واجه آباء آخرون نفس القلق ، وعانوا ذات المخاوف . وربما يذكر بعض الآباء أن تربية الطفل التوحدي قد أقمحت كثيراً من التغييرات الجوهرية والأساسية على حياتهم، بما في ذلك العمل الشاق المضني والتكيف الهائل مع الوضع الجديد . ومع ذلك فربما يذكر بعض آباء الأطفال التوحديين أنهم يحيون ويمتتمون بالحياة ، بل وربما يذكر بعضهم أن وجود الطفل التوحدي قد أثرى حياتهم من حيث لا يحتسبون . وذلك مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط " . وحديثه صلى الله عليه وسلم " عجباً لأمر المؤمن، إن

أمره كله له خير . إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن".

آباء الطفل التوحدي :

أهم شيء بالنسبة للطفل التوحدي - وأهم من حصوله على التعميم الجيد وتدريبه على المهارات والأخلاقيات المرغوبة - هو أن يجلس أفراد الأسرة مع بعضهم بعضاً . وإذا سمح الآباء لتوحدية الطفل واحتياجاته بأن تدمر الأسرة ، أو أن تفرق جمعها ، وتششت شملها ، وتباعد بين أفرادها ، فسيكون الخسران المبين من نصيب الجميع . وبالطبع سيكون أول الخاسرين هو الطفل التوحدي؛ ولذا فعلى الآباء وهم يحددون أولوياتهم ، ويقسمون أوقاتهم ، ويوازنون بين احتياجات كل فرد من أفراد العائلة ألا يسمحوا لاحتياجات الطفل أن تستحوذ على حياة الأسرة وتهيمن عليها . وينبغي ألا يضع الآباء أنفسهم في موضع الاختيار بين رعاية الطفل التوحدي وحياة الأسرة .

وآباء الطفل التوحدي بحاجة إلى مزيد من الانتباه لاتجاهاتهم ، آمالهم ، ومخاوفهم ، وتوقعاتهم . ولا شك أن طريقة اقتراب الآباء من الطفل ، ومن الحياة الأسرية تؤثر تأثيراً عميقاً على الطفل التوحدي وعلى الأطفال الآخرين ، وعلى الآباء أنفسهم .

شعور الآباء بالرضا عن أنفسهم كأباء :

لا يختلف اثنان على أن آباء الطفل التوحدي يشعرون بصدمة كبيرة وعنيفة وقد تززع ثقتهم بأنفسهم وتقديرهم لذاتهم . وحتى الآباء الذين ربوا أطفالاً غير توحديين يفقدون الثقة في قدرتهم على أن يكونوا آباءً لطفل توحدي . ترى ما الذي يسبب هذا الشك الذاتي المفاجئ ؟

أولاً: وقيل كل شيء ، ذلك الغموض الذي يحيط بالتوحدية. فسرعان ما يواجه الآباء سلوكاً غير مألوف ومطالب فريدة. وهم بكل بساطة غير مهينين لمثل تلك الأدوار مهما كانت قدرتهم فيما مضى على القيام بالدور الطبيعي للآباء.

ثانياً: مع التوحدية تظهر كتائب المتخصصين الذين ينبرون لإسداء النصح بخصوص الرعاية اليومية ، والتعميم ، الاندماج ، والعلاج الطبي للطفل. فبعضهم

يطم الآباء كيف يفعلون بعض الأمور التي كانوا يعونها من قبل أموراً فطرية. فتدخل المتخصصين بكثير من الأفكار والخطط في كل جانب من جوانب رعاية الطفل يمكن أن يزعزع الثقة في الذات لدى الآباء .

ثالثاً : يفتقر الآباء إلى المعلومات عن التوحدية ؛ ولذا تضرب توقعاتهم. وإذا كان الطفل التوحيدي هو طفلهم البكر فربما لم تتح للآباء فرصة إحرار الثقة من الخبرات السابقة أو النجاح السابق كأباء . وإذا كان لدى الآباء أطفال آخرون فطبيهم أن يأخذوا بعض الوقت في التفكير في النجاح الذي حققوه . ولينتكروا جيداً أنهم آباء جيدين محبوبون لأبنائهم لديهم القدرة والرغبة في تقديم الرعاية. فالطفل التوحيدي قد يغير حياتهم ولكنه لا يغير الآباء . وربما يزعم بعض الآباء أن عين المهارات التي تستخدم مع الأطفال الطبيعيين يمكن أن تطبق في تربية الطفل التوحيدي . ويقرر بعض الآباء بالفعل أن ينجبوا أطفالاً آخرين ليؤكدوا لأنفسهم أنهم يستطيعون أن ينجبوا أطفالاً طبيعيين . فطى الآباء الذين كانوا يخططون لأن ينجبوا مزيداً من الأطفال ألا يغيروا خططهم لأنهم رزقوا بطفل توحيدي اللهم إلا إذا كان لدى الطفل لارمة هشاشة كروموزوم X (التي سبق الحديث عنها في فصل سابق) .

ومن الطرق الرائعة التي تدعم الثقة بالنفس لدى الآباء أن يسجلوا ويدونوا الأشياء التي يقومون بها في رعاية الطفل التوحيدي وتعليمه العناية بصحته ، دون أن يفكروا فيها أو يتلقوا أجراً عليها . ففي كل يوم يقوم الآباء بدور الطبيب ، والممرضة، والمعالج النفسي ، والمعلم ، والمحامي والنصير، بالإضافة إلى دور الآباء . وهم يعلمون كل شيء عن الطفل ، ويطمون عنه أكثر مما يطم الآخرون ، ويطمون عنه ما لا يطمه الآخرون . غير أنهم لا يطلق عليهم اسم المتخصصين ، عليهم أن يمنحوا أنفسهم الثقة الكاملة ، فهم بحق خبراء أو في طريقهم لأن يصبحوا خبراء ، كما أنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا قدموا نصائح المتخصصين . وعليهم أن يطالبوا بعلاقات عمل تحترم فيها أفكارهم واهتماماتهم . ويذهب بعض الآباء إلى ما وراء ذلك ، حيث يقومون ببعض وظائف المتخصصين. إما لأن خدمات المتخصصين ليست متاحة في منطقتهم أو لأنها باهظة التكاليف .

وكلما تعلم الآباء وعرفوا أكثر وأكثر عن اضطراب طفلهم ازدادت ثقتهم. وفي البداية يكون قليل من الآباء مستعداً للمواقف التي يمكن أن تحدث عندما يكون طفلهم التوحدي خارج نطاق السيطرة، فغالباً ما يكون معظم الآباء غير مهنيين مع السلوكيات الخطيرة في البداية. وفي الواقع فإن السلوكيات غير المألوفة، والسنوبات التي ينخرط فيها الأطفال التوحديون هي أكثر شيء يعرقل ويزلزل شعور الآباء بالكفاءة والثقة. وبينما يتعلم الآباء أن يتسامحوا مع سلوكيات الطفل الحادة، وأن يوقفوها فإن ثقتهم بأنفسهم سوف تستقر وتتنامى.

وبالإضافة إلى الشعور بعدم الكفاءة، فإن بعض الآباء يشعرون بأنهم باستمرار تحت المنظار كأباء. ويشعرون بأنهم ليس بوسعهم أن يراهم الآخرون وهم غاضبون أو منزعجون أو محبطون أو ثائرون على طفلهم التوحدي. ومع ذلك لا يستطيعون أن يمنعوا سلوكه غير التكيفي. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يشعرون أن أصدقاءهم وبعض أفراد عائلاتهم لا يفهمون ما يمثله الطفل التوحدي بالنسبة لهم كل يوم. فعلى سبيل المثال قد لا يفهم الآباء الذين ليس لديهم طفل توحدي لماذا ينفلت زمام أحد الأبوين بسبب حدث يبدو بسيطاً وصغيراً، كأن يدير الطفل عجلة دميته أو أن يضرب الكرة في الحائط لترتد إليه، أو أن يرمي الطعام على الأرض. والحق أن تلك الأشياء لو كانت تحدث بين الحين والحين لكانت أخرى بالتسامح وأجدر بالصفح. ولكن آباء الأطفال التوحديين يتسامحون مع تلك السلوكيات كل يوم، وفي بعض الحالات كل دقيقة. فليس من حق من لم يصاب بمصاب أولئك الآباء أن يحكم على ردود أفعالهم على سلوكيات طفلهم التوحدي، والله در من قال " ليس من سمع كمن رأى " وكذلك ليس من حق آباء الطفل التوحدي أن يحكموا على أولئك الأصدقاء أو الأقارب. حيث إن الشعور بأن لا أحد يشعر بما يشعرون به ولا أحد يفهم ما يقاسونه يجعلهم يشعرون بالعزلة والغربة وإن كان الناس يحيطون بهم من كل صوب وحذب. ولعل هذا أحد الأسباب الكثيرة التي تجعل مشاركة الآخرين من آباء الأطفال التوحديين أمراً بالغ الأهمية حفاظاً على الهدوء النفسي والاستقرار العاطفي للآباء.

الحياة الأسرية :

تتشابه أسر الأطفال التوحديين مع أسر الأطفال الطبيعيين الذين يعانون من اضطرابات أو إعاقات أكثر مما تختلف وتتباين . وكذلك يتشابه آباء الأطفال التوحديين مع آباء الأطفال الذين لا يعانون من إعاقات أكثر مما يختلفون ويتباينون . فالطفل التوحدي قد يغير حياة الأسرة ولكنه لا يغير الآباء . فالآباء لا زالوا هم الآباء الذين كانوا قبل أن يتم تشخيص الطفل على أنه توحدي .

ويمر جميع الآباء ببعض مشاعر الذنب ، وعدم الكفاءة ، والإحباط ، والتوتر . كما أن كل الإخوة والأخوات يعانون من الغيرة والفضب والحرص في كثير من الأوقات في حياتهم . وبين الحين والحين يختلف الأجداد مع أبنائهم بخصوص أفضل طريقة لتربية الأطفال . ولعل كل الأزواج قد مروا بتلك الجدالات والمناوشات . ولن نكون بشراً إن لم نعيش تلك المشاعر ، ولن نكون بشراً إن لم نعبّر عنها . ووجود الطفل التوحدي بالأسرة لا يغير تلك الحقائق الأسرية الثابتة .

وغالباً ما تتكثف المشاعر والصراعات والمشكلات المطالب التي يقتضيها كون المرء أباً أو أماً أو جداً أو عماً أو خالاً لطفل توحدي . ولكنها لا تزال استجابات طبيعية يشعر بها جميع الناس . وليتذكر الآباء أنهم حتى لو لم يكن لديهم طفل توحدي فإنهم سوف يواجهون تلك المشكلات بين الحين والحين .

وهذا لا يعني أن وجود الطفل التوحدي لا يغير الأسرة - ففي بعض الأسر يصبح التغيير جذرياً . ولا شك أن جميع أفراد الأسرة يتأثرون ، وأن كل فرد يتأثر بطريقة قد تختلف عن الطريقة التي يتأثر بها الآخرون ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل ما زالت الأسرة متماسكة وتشكل وحدة واحدة ؟ وعلى سبيل المثال، ليتذكر الآباء كيف كان الحال قبل أن يولد الطفل التوحدي ؛ ربما كان لدى العائلة مجموعة من القواعد والمبادئ والقوانين التي يحاول الجميع أن يلتزم بها . وقد تكون تلك القوانين بسيطة أو معقدة . وعلى أية حال فإن تلك المبادئ بشكل عام كانت مفهومة للجميع ويطيعها الجميع ولو في معظم الأوقات على الأقل . وكان ذلك يجعل الحياة الأسرية منضبطة وآمنة وقابلة للتنبؤ . وإذا

طرات أي تفسيرات مفاجئة فإن جميع أفراد الأسرة سرعان ما يتحركون لإنقاذ الموقف . وفي بعض الأوقات تنجح جهودهم وأحياناً تفشل تلك الجهود . ومع ذلك فإن الأسرة كانت تحاول أن تواجه الأمر ككتلة واحدة .

وبعد ميلاد الطفل التوحدي فإن تلك الضغوط والتغيرات التي كانت تحت السيطرة من قبل ربما تخرج عن السيطرة الآن . وربما تتغير قدرة الآباء على ضبط وتنظيم الوقت أو أن يظلوا قادرين على تقديم ذلك الصنف من المعاملة الأبوية التي اعتادوا أن يقدموها لأبنائهم . ولذا فإن على الأسرة أن تراجع مبادئها وقواعدها لتواجه المطالب غير العادية للطفل التوحدي . كان يتوقفوا عن الخروج للمطاعم أو أن يغيروا عادات التسوق لديهم لأن الطفل لا يستطيع أن يستمر على وضع ما أكثر من خمس عشرة دقيقة .

ومهما كانت مشاعر الآباء بخصوص تلك التغيرات فإن عليهم ألا يلوموا الطفل لأنه هو الذي تسبب فيها . فليس للطفل ذنب في ذلك ، وإنما على التوحدية يقع اللوم والعتاب . حقاً إن الطفل توحدي ؛ ولكنه لم يختَر ذلك لنفسه ولا لأسرته . وليطم الآباء علم اليقين أن الطفل التوحدي سوف ينمو ويتغير وكذلك ستنمو الأسرة وتتغير . فسوف يتغير كل من الأسرة والطفل في تفاعل كل منهما مع الآخر ، وأحياناً سيغيرون معاً ، وأحياناً سيبدو التغير سلسلة مستمرة ومتواصلة من التكيفات وردود الأفعال . فعلى سبيل المثال ، بينما يتعلم الطفل أن يتواصل مع الآباء على نحو فعال فإن بعض التخمينات التي كان الآباء يعولون عليها في فهم الطفل سوف تتلاشى وتختفي . وعندها ربما يطالب الآباء بتواصل أفضل . وسوف يرد الطفل على ذلك وربما يرقى الطفل لمستوى التحدي ، وربما يثور وتمرد عليه ويقاومه . وأياً ما كان الأمر فإن الأسرة والطفل سيكافحان تلك التغيرات معاً وسيستمر النمو والنضج . وربما يبدو الأمر صعباً وعسيراً ، ولكن لا بد من تلك العملية المستمرة التي لا تنتهي والتي تمر بها جميع الأسر من النضج والنمو . وهي تمثل جزءاً متواصلًا من حياة الأسر . ومع ذلك فبوسع الآباء أن يستشفروا ذلك التغيير وأن يخططوا له ويتحكموا فيه .

وبينما يتعلم الآباء أن يفهموا توحديّة الطفل ، ومخاوفه ، والأشياء المفضّلة لديه والمحبة إلى قلبه واستراتيجياته التي يتبعها في التواصل فإنهم سيبدأون في فهم تلك الأشياء التي ربما تكون سهلة أو صعبة بالنسبة للطفل ، ومن ثمّ يتمكنون من مساعدته على أفضل وجه ممكن . فمساعدة الطفل على مسايرة أسرته يعتبر واحداً من أهم الأشياء أكثرها مكافأة بالنسبة للطفل الصغير .

كيف تتكيف الأسر بمرور الزمن

وليس هناك طريقة مثلى لدمج الطفل التوحدي في الأسرة . وتحاول معظم الأسر أن تضمن استقلال مستقبل الطفل التوحدي من خلال التنظيم والتدريب في البيت والمدرسة . كما يحاولون أيضاً أن يحققوا الصحة النفسية والبدنية لجميع أفراد العائلة وعلى الآباء أن يكفحوا ويجاهدوا ويصبروا ويصابروا من أجل تحقيق هذا الهدف .

ومجرد أن الأسرة تواجه ضغوطاً غير عالية لا يعني أن مداخل الفطرة السليمة للحياة الأسرية لم تعد قابلة للتحقيق والتطبيق . والحق أن وجود الطفل التوحدي يمكن أن يزلزل أساس أقوى الأسر ، ويأتي بنباتها من القواعد . ومن الأهمية بمكان أن يؤسس الآباء حياتهم الأسرية على قواعد راسخة وقيم ثابتة . وهذا يعني أن الحب ، والاحترام ، والاتصال ، والصل الجاد ، وغيرها من العناصر التي تساعد على تدفق تيار الحياة الأسرية تعتبر عوامل أساسية لبقاء أسرة الطفل التوحدي .

وبعد تشخيص الطفل على أنه توحدي ، وبعد التكيف الأولي مع الخبر وبعد أن تتلاشي بعض الصدمات ، فإن معظم العائلات تستقر على نظام ثابت . حيث توزع المسؤوليات ويعرف كل عضو في الأسرة دوره في رعاية الطفل التوحدي ، ويتم تقسيم الوقت بناءً على تلك الالتزامات .

ونظراً لأن كل العائلات تتغير مع مرور الزمن ، فإن تلك الالتزامات والمسئوليات يجب أن تتغير هي الأخرى ؛ فما كان يصل في الماضي بسلامة وسهولة ربما يتوقف الآن عن الصل . وبينما تصبح طرق المواجهة القديمة أقل فعالية وكفاءة ، فإن على الأسرة أن تحاول إيجاد طرق أخرى للتكيف . ففي دورة

حياة أسرة الطفل التوحدي توجد عدة نقاط تحول، وهي تتطلب مرونة وعملاً جاداً وشاقاً من كل عضو من أعضاء الأسرة .

السنوات الأولى : من التشخيص إلى سن المدرسة :

يعتبر الانتقال من الصدمة الأولى الناتجة عن تشخيص الطفل أنه توحدي إلى التكيف مع ما تتضمنه إعاقة الطفل هو أول أزمة انتقالية تواجهها العائلات. حيث يجد الآباء أنفسهم فجأة بحاجة لأن يجدوا الخدمات العلاجية والتعليمية وكذلك الأطباء وأطباء الأسنان والمربيين الذين يفهمون الطفل ويمكنهم أن يعملوا معهم وبالإضافة إلى ذلك فإن عليهم أن يغيروا نظامهم وجدولهم والتزاماتهم الأخرى لكي يكرسوا مزيداً من الوقت لخدمة الطفل. وعلى سبيل المثال، قد يتحتم على أحد الأبوين أو كلاهما أن يغير وظيفته أو أن يترك العمل تماماً وربما يحتاج أحدهما أو كليهما إلى تأجيل خططه وترتيباته للدراسة في المستقبل. وربما يوجد مزيد من القلق والتوترات الشخصية .

ويعاني بعض الأطفال التوحديين من العزلة الشديدة ، ويرفضون أن يمسكهم أي أحد. في حين يبدو الآخرون أكثر تسامحاً ، وقد يشتركون مع آبائهم في بعض الأنشطة البسيطة المختصرة، وقد يبدو صعباً إنشاء أو إقامة رابطة ثنائية الاتجاه مع طفل توحدي صغير. وغالباً ما يضع الآباء والأمهات أنفسهم ومهاراتهم الوالدية موضع الاختبار. وربما تعن لهم وتجوس بخواطرهم أسئلة من قبيل " هل أخطأت في شيء ؟ هل ارتكبت أي حماقة ؟ لماذا لا يريد طفلي أن أمسكه ؟ ولماذا يا ترى يرفض أي شيء أريد أن أفعله لأسعده وأدخل السرور على قلبه ؟ "

وليس على وجه البسيطة من يجب الرفض لا سيما إذا كان ذلك الرفض من طفله الحبيب . ومن المهم أن يتذكر الآباء أن طفلهم لا يرفضهم ؛ وغاية ما في الأمر أنه لا يفهم ما يفعله ولا لماذا يفعله، والافتقار إلى الفهم يجعله يتراجع ونسحب ليتجنب ذلك الخوف والارتباك. وبينما يبدأ الطفل في فهم والديه ويمضي الوالدان في فهمه فإن الرفض سرعان ما يتلاشى ويختفي .

وربما يحاول الأجداد والأعمام والأخوال والعمات والخالات والأصدقاء أن يعرفوا شيئاً عن الطفل من قبيل ما يفعل الطفل ، وما يعنيه التشخيص ، ولماذا لا يتكلم ، ولماذا يثور ويهيج ويدخل في نوبات الغضب عندما يرتدي بنطلوناً قصيراً ، أو عندما لا يحصل على طعام لونه بيج ، وثمة سيل من الأسئلة يقابله قليل من التفسيرات الواضحة وقليل من الوقت المتاح . وبينما يتقدم الطفل في السن ويستعلم منه الآباء فإنهم ستتوافر لديهم إجابات أفضل لتلك الأسئلة . وحتى يصل الآباء إلى تلك المرحلة فقد يكون من الصعب على الآباء أن يشرحوا للآخرين كل شيء لا سيما إذا كان أحدهم يختلف مع الآباء أو حتى مع التشخيص . ونتيجة لذلك فإن بعض الآباء لا يقدمون إلا نزرأ يسيراً من المعلومات ، في حين يقدم آخرون قدراً كبيراً . ويعتمد ذلك على عدة عوامل . والمهم في الأمر أن تكون تلك المعلومات مهمة لمن يطلبونها . سيساعدهم ذلك على أن يكونوا جزءاً من الحل بدلاً من أن يكونوا عبئاً ثقيلاً .

وفي سني الطفل الأولى يحاول كثير من الآباء أن يجدوا معنى لتوحدية الطفل - لماذا حدث ذلك لنا ؟ - فأسئلة من هذا القبيل قد تكون شائعة جداً وقد تمثل جزءاً طبيعياً من المواجهة . ويساعد ذلك كثيراً من العائلات على الحصول على إجابات مرضية للسؤال المبكر - لماذا نحن دون غيرنا ؟ - فقدرة الآباء على مناقشة ذلك مع بعضهم ومع أصدقائهم تساعدهم على توضيح اعتقاداتهم الخصية عن التوحدية وتوفير لهم إطاراً مرجعياً لاتخاذ القرار في المستقبل . فعلى سبيل المثال ربما يقرر الآباء أن الطفل ينمو وينضج ومن ثم أصبح الآباء مؤيدين للاندماج . وربما يقررون أن أفضل طريق للطفل يبدأ بالتدخل التطبيقي المبكر ، وربما يصبحون مناصرين ومؤيدين لمدخل تحليل السلوك التطبيقي . والنقطة المهمة هاهنا هي أن يحصل الآباء على أكبر قدر ممكن من المعلومات وأن يستخدموه بدقة ويتحركوا قدماً .

وليس من شك في أن التوحدية تغير حياة الأسرة . وعندما يكون الطفل صغيراً فإن تلك التغيرات يمكن أن تكون مسيطرة ومهيمنة ، وربما تحدث بسرعة وعننف . ويصبح التعامل مع نقاط التحول والتغير ومع احتياجات الطفل أكثر

سهولةً عندما يعرف الآباء الطفل على نحو أفضل وعندما يكبر الطفل ويتعلم. ولسوف تؤسس الأسرة أنماطاً من التفاعل تدعم مشاركة الطفل على أكمل وجه، ولسوف يستطيع الآباء حينها أن يحددوا أولويات الوظائف الأسرية مثل أجازات العائلة ، وذهاب كل فرد من أفراد الأسرة إلى العمل أو المدرسة على حدة، ثم إقامة نظم أسرية لتنفيذ تلك الوظائف ، ونظراً لأن السلوكيات التوحدية غالباً ما تكون أكثر حدةً عندما يكون الطفل بين سن الثانية والرابعة ، فإن قدرة العائلة على المواجهة يمكن أن تبلغ أدنى حد لها أثناء تلك السنوات الأولى. ومع ذلك فثمة مجموعة من الاستراتيجيات ممكن أن تساعد الأسرة على تجاوز تلك الفترة من النمو التي تكتنفها العواصف والزوابع والأعاصير. وبوسع الآباء أن يبحثوا عن مطومات التوحدية ، وأن يتعلموا قدر طاقتهم عن الطرق التي يمكن أن تساعد الطفل . وبوسعهم أن يكتشفوا الخدمات المتاحة للأطفال التوحديين في منطقتهم ومجتمعهم وأن يطلبوا النصح من المتخصصين، وبوسعهم أيضاً أن يسجلوا ما يمكن أن يقدموا آباء الأطفال التوحديين الذين خاضوا نفس تجربتهم من قبل من دعم وتفاعل وتعاطف.

سنوات المدرسة : (٣ - ١٢ سنة)

عندما يدخل الطفل التوحدي المدرسة، فإن على الأسرة أن تحاول مرة ثانية أن تتكيف مع احتياجاته . فعلى أفراد الأسرة أن يكتفوا جداولهم لخلق بناء ونظام يمكن التنبؤ به بالنسبة ليوم الطفل ، وعليهم أيضاً أن يطموه مهارات الحياة اليومية في البيت . وعلى سبيل المثال لن يصبح ملاماً بالنسبة للآباء أن يلبسوا الطفل التوحدي ملابسه . وإذا فعلوا ذلك فإن ذلك لن يكون في صالح استقلاله في المستقبل ؛ بل سيعمل ضده . فتعليم الطفل أن يلبس نفسه سيكون أهم تكيف أثناء تلك المرحلة وسيحتاج أن يتعلم مهارات قضاء الحاجة والخروج مع الأسرة خارج المنزل .

وفي وقت مبكر من تلك المرحلة الانتقالية ربما يخبر الآباء قلقاً إضافياً إذا لم يكونوا واثقين من أن طفلهم قد تلقى أفضل قدر ممكن من التعليم وعندما يجد الآباء المدرسة المناسبة فإنهم سيكونون متفانين إلى حد ما بخصوص تقدم

الطفل . حيث إن مجرد خروج الطفل من البيت كل يوم لبعض الوقت يساعدهم مساعدة كبيرة كما أن التفاعل مع المعلمين يزود الآباء بأفكار وفتيات جديدة للتعامل مع الطفل عندما يكون في البيت . وعندما تكون خدمات تدريب الطفل متاحة فإن الآباء ربما يتوافر لديهم قدر أكبر من الطاقة للصل مع الطفل . وأثناء سنوات المدرسة ربما تتوافر للآباء فرص تدريب الطفل على أداء الوظيفة . وتعتبر مشاركة الآباء ضرورية لأنهم يعرفون أفضل من غيرهم . والمهارات التي يكتسبها الآباء في الاتصال الفعال مستاعدهم وتساعد طفلهم حتى بعد أن يتخرج من المدرسة .

وأثناء سنوات الطفولة الوسطى يصبح الآباء أكثر إبداعاً وأكثر وعياً بأن احتياجات طفلهم صلبة لا تلين . وتلك الاحتياجات للإشراف ، وقضاء الحاجة ، وتناول الطعام على نحو صحيح ، على سبيل المثال لا الحصر ، تحتاج وقتاً طويلاً من الآباء . ولمسوء الحظ فإن الوقت الذي يخصصه الآباء لطفلهم يستقطع من الوقت المخصص للأنشطة الأخرى ؛ فأعمارنا قصيرة، وأجلنا محدودة، ومساعدتنا معدودة. ولعل الأنشطة الترفيهية هي أول ما يضحى به الآباء . وتستطيع بعض العائلات أن تحصل على العون والمساعدة عندما تترك أن الميزان قد اختل اختلالاً كبيراً لصالح الطفل . ولعل تحديد أماكن ومواقع المؤسسات الاجتماعية التي تقدم الرعاية للأطفال ، وتأجيل الرعاية ، ومقررات الأنشطة الإضافية، والترتيب والإعداد لمشاركة الطفل دون إشراف والديه يمكن أن يسهم في خفض وتقليل المقدار الذي يحتاجه الطفل من وقت الآباء .

وغالباً ما يشعر الآباء الذين تقع على عاتقهم مسئوليات الرعاية بالوحدة والعزلة وبأنهم عاجزون عن الاتصال بآباء الأطفال الذين لا يعمتون من إعاقات. وربما يشعرون بأنهم محبسون ومحصورون ولا حول لهم ولا قوة . وفي مثل تلك الحالات يبرز دور شريك الحياة ، فإذا استطاع الزوج أو الزوجة أن يخفف كل منهما عن الآخر ويحمل عنه بعض أعبائه وأثقاله وهمومه، ويشاطره رعاية الطفل، ويوفر له الرفقة التي تخرجه من وحدته الكئيبة، ويشاركه في عملية دمج الطفل في المجتمع ، فإن مشاعر الطرف الآخر بالوحدة والعزلة ، بلا ريب سوف

تقل وتتلاشى وتختفي . ومن الأهمية بمكان في تلك الآونة أن يصل الآباء إلى الآخرين طلباً للعون والمساعدة . ولا شك أن إقامة وتنظيم شبكات العمل والمساعدة ستعين الآباء على الحصول على الطاقة اللازمة للاطلاع والمضي قدماً . ولعل هذا الوقت المناسب لاستنفاار المساعدة والدعم والعون من بعض الأقارب أيضاً .

وأحد المخاطر التي ينبغي أن ترابط العائلة على ثغراتها وتبقى متحفزة لها أثناء تلك الفترة من سني المدرسة هي مشكلة الركود والرتابة وعدم التجديد . ففي الأسرة التي تنعم بأداء وظيفي جيد ينضج الأفراد بسرعة ويتولون مسئوليات جديدة ومختلفة . ومع ذلك فعندما يوجد طفل توحدي في الأسرة فإن عملية التغيير ربما تتأخر وتتباطأ؛ لأن الآباء ربما لا يريدون تغيير استراتيجيات الضبط والسيطرة مع نمو الطفل ونضجه . وعندما يحدث ذلك فإن التكيف يتوقف ، ولا يكون هناك إلا قدر قليل ونزر يسير من المرونة ، وهذا يعني أن أفراد الأسرة ربما يصبحون عاجزين أو غير راغبين في تغيير المسئوليات الفردية عن الطفل . فعلى سبيل المثال ربما يكون أحد الآباء قد اعتاد على تولي مسئولية الإشراف على الطفل التوحدي في فترة الصباح (مثل إلباس الطفل ملابسه ، مساعدته في قضاء حاجته) ويصعب تغيير ذلك .

وبوجود المطالب غير العادية التي يفرضها وجود الطفل التوحدي ، فإن افتقاد المرونة وفرص النمو يمكن أن يكون معوقاً للأسرة . ومادام الآباء مدركين لاحتمال حدوث الركود والرتابة ومتأهبين للحذر من مخاطره ، فإنهم يمكنهم أن يتحدثوا عن الأشياء التي يجب أن يسعوا إليها ، وسبل تجنب ذلك الاحتمال . وإذا لاحظ أحد الآباء أنه أصبح سريع الانفعال مع أفراد أسرته ، أو أنه يتجنب مسئوليات معينة ، فليناقتش تلك الاهتمامات مع أفراد الأسرة ، وليحدد المشكلة بدقة ثم يشرع بعد ذلك في حلها .

المراهقة :

قبل أن يبلغ الطفل سن الثالثة عشرة فإن والديه سيصبحان خبيرين في التوحدية ، وسيصبحان أكبر سناً وأقل حيوية في التعامل مع الطفل ، وهذا شيء

مفهوم مفروغ منه. أما أثناء سنوات مرافقة أبنائهم فإن كثيراً من الآباء يبدأون في تحويل تركيزهم إلى مستقبله على المدى البعيد . وربما تشغل أمور من قبيل التدريب المهني ، والتأمين الاقتصادي وترتيبات المعيشة المستقلة مساحات أكبر من تفكيرهم . وغالباً ما يصرف الآباء طاقاتهم في إقامة وتأمين تلك الأشياء .

وحتى عندما يركز الآباء على المستقبل ، فإن عليهم أن يستمروا في مواكبة الحاضر ، فطبيهم على سبيل المثال أن يواجهوا بشكل مباشر الفروق بين طفلهم التوحدي وأقرانه . وبينما يركض الشباب إلى سن المراهقة ركضاً حثيثاً فإن المراهق التوحدي عادةً ما يبقى غير مهال بالأحداث الاجتماعية ، والتخطيط للوظيفة ، والكفاح من أجل الاستقلال . وربما يراقب الآباء الذين لديهم طفلة توحدية تبلغ السادسة عشرة، ويعتصرهم الأسى عندما يجدون أقرانها يعنون ويهينون الأمور التي تعتبر أساساً للزواج وبدء حياة جديدة وإتجاب الأطفال .

ومع التغيرات البدنية والعاطفية التي تصاحب الحلم ، ربما تظهر اهتمامات أخرى مثل تلك التي تتعلق بالبلوغ الجنسي . فمعظم الأفراد التوحديين ليسوا مشغولين بإقامة علاقات حميمة بأفراد من الجنس الآخر . ومع ذلك فإن كثيرين منهم إن لم يكن معظمهم يستجيبون للتغيرات البدنية والبيولوجية والهرمونية داخل أجسامهم ، كلٌ بطريقته الخاصة به . وربما يؤدي نقص التقدير الجيد والفهم الاجتماعي وضعف مهارات التفاعل الاجتماعي إلى الزج ببعض الأطفال في بعض المواقف التي قد تكون محرجة بالنسبة لهم أو لآبائهم أو لذويهم .

وفي تلك المرحلة يجب على آباء الطفل التوحدي أن يتعاملوا أيضاً مع الفروق بين زواجهم وزواج الآخرين بشيء من الحكمة . فطى سبيل المثال يمكن أن يلتقي الأزواج الآخرون كأزواج بعد أن يستقل أولادهم ويتركوا البيت؛ في حين يحرم آباء الطفل التوحدي من هذه الفرصة لأن ابنهم يستمر في الاعتماد عليهم . والتكيف العاطفي مع مطالب التوحدية المزمنة التي تستمر مدى الحياة يتطلب عملاً دائماً وشاقاً .

والمهمة الأساسية لعائلة المراهق التوحدي هي أن تدعم وتمسك استقلاله بكل طريقة ممكنة وعبر كل سبيل متاح . وبالإضافة إلى ذلك فإن العائلة يجب أن

تصل إلى حل بخصوص الانفصال ، ويجب أن يبدأ الآباء في تحديد أدوارهم كأباء لأطفال ناضجين. ومن خلال التخطيط المالي الدقيق، والإعداد المهني للطفل، والاختبار الجيد للنزل الجماعي الملائم ، فإن معظم العائلات تستطيع أن تتجاوز تلك المرحلة من النجاح .

عوامل مساعده على نجاح المواجهة:

تناولنا في الأجزاء السابقة كيف تنمو عائلات الأطفال التوحديين وتتكيف عبر الزمن. ولكن أنى لتلك العائلات أن تتعامل مع ألف أزمة وأزمة تعترض سبيلها ؟ كيف يمكن للأسرة أن ترعى طفلاً معاقاً دون أن تسقط فريسة للإجهاد والإعياء ؟ ولا شك أن معادلات المواجهة تتنوع وتختلف ؛ ولكن هناك أربعة مكونات أساسية مطلوبة لتحقيق النجاح بشكل عام ، ألا وهي : اتجاهات الآباء الإيجابية ، والاتصال ، والدعم ، وسلطة العائلة.

١- اتجاهات الآباء :

يعتبر الآباء هم المفتاح والمدخل إلى التكيف الجيد من قبل العائلة لوجود طفل توحدي بينها ، والأطفال وأفراد الأسرة الآخرين ، والأصدقاء يتبعون الآباء. ونظراً لأن طريقة تصرف الآباء وتعاملهم مع الطفل منذ البداية تقدم نموذجاً يحتذى به بالنسبة لباقي أفراد الأسرة ، فعلى الآباء أن يحرصوا على أن يعاملوا الطفل بحب وتقبل ، وأن يحددوا له أهدافاً عالية وغايات سامية ولكنها معقولة، وأن يشجعوا استقلاليتهم وفرديته .

أ - الحب والتقبل :

تعتبر التوحيدية حالة يصعب على الآباء التعامل معها بسبب الطريقة التي تؤثر بها على الطفل . وغالباً ما يمثل التشخيص صدمة للآباء ، ويكابد الآباء الحزن والهم والغم لفترة من الزمن . وعليهم أن يتذكروا أن طفلهم ليس أقل من أي طفل ، وعندما يتقبلونه كما هو فإنه سيبقى واحداً من العائلة وجزءاً منها ولا يعني تقبل الطفل تجاهل توحديته ؛ بل عليهم أن يروه من خلال توحديته. ورغم أن ذلك يبدو تحدياً كبيراً فإنه مهم لتمكين الأسرة من المواجهة والتكيف .

ويشعر جميع آباء الأطفال المعوقين بالخسارة بالنسبة لهم ولطفلهم. وما أسوأ أن يفكر الآباء في الطريقة التي ستؤثر بها التوحدية على طفلهم وعلى حياته ، ولكن حفاظاً على مصلحة الطفل ومصلحة العائلة يجب أن يتقبل الآباء توحديته كحقيقة ماثلة في حياته وحياة أسرته. أما إذا أنكر الآباء توحدية الطفل فإن ما يفعلونه لا يدعو بناء حائط عازل بينهم وبين الطفل. وعلى العكس من ذلك فإذا تقبل الآباء توحدية الطفل ورضوا بقضاء الله فيه فإنه يمكن أن يتدرب ويتعلم أن يكون عضواً نافعا؛ في الأسرة ولذا فإن تهيئة الأسرة لتقبل الطفل وتوحيده تبقى هو الهدف الأول والخطوة الأولى على طريق تكيف العائلة .

وثمة خطوة مهمة في تقبل الطفل ، ألا وهي تقدير عدد مشكلات الطفل، وعدد مشكلات الأسرة المرتبطة بالتوحدية بشكل مباشر. فكثير من الآباء يربطون جميع مشكلات الطفل بالتوحدية بينما تعتبر التوحدية في الواقع مسؤولة عن بعضها فقط فعلى سبيل المثال عندما يرفض الطفل أن يتناول العشاء أو عندما يضرب أخوته، فمن السهل على والد الطفل التوحدي أن يلقي باللائمة في هذا السلوك على التوحدية في حين أنها منه براء . أما آباء الأطفال الذين لا يعانون من التوحدية فيخبرونك أن تلك الأشياء تحدث في أسرهم أيضاً . كما أن الأطفال غير التوحيديين ربما يكونون معزولين اجتماعياً - وهي سمة غالباً ما ترتبط بالتوحدية؛ ولذا فعلى الرغم من أن التوحدية قد تصعب حياة الأسرة، فإنها ليست السبب في كل المشكلات التي تعاني منها أسرة الطفل التوحدي .

وينبغي ألا نخلط بين التقبل والركود . فتقبل الطفل لا يعني تسليم الطفل لجميع الآثار الكامنة للتوحدية . ويستطيع كثير من الآباء أن يحولوا غضبهم على توحدية الطفل إلى عزم وتصميم إدارة لا تلتين تساعد الطفل في إنكفاء رغبة عارمة في عدم ترك التوحدية تفوز في كل الأوقات. وإذا استطاع الآباء أن يواجهوا هذا العزم وذلك التصميم توجيهاً صحيحاً فإنهم يستطيعون أن يستخدموه لحماية اهتمامات الطفل ولدفعه دوماً إلى الأمام لتحقيق أهدافه. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يستطيعون في بعض الأحيان أن يحولوا عزمهم وتصميمهم إلى الطاقة المطلوبة في مواجهة المتخصصين الذين يتسمون بالإهمال والجيران القاسية قلوبهم .

ب - التوقعات :

يولد الأطفال التوحديون ، مثلهم في ذلك مثل باقي الأطفال ، ولديهم مدى واسع من القدرات البدنية والعقلية . والحق أن التوحدية تحدّ من قدرات الطفل، ولكن من المستحيل أن نتنبأ بالاحتمالات الكامنة لأي طفل في سن مبكر بل إن وضع بعض القيود والحدود لإمكانيات الطفل ، ولما يعتقد الآباء أن الطفل سيستطيع إنجازها ربما يمنع الطفل بالفعل من الوصول إلى أقصى إمكانياته. وذلك مرده لأن توقعات الآباء وأفراد الأسرة الآخرين يمكن أن تؤثر على إنجازات الطفل .

ونظراً لأن الآباء يقضون مع الطفل وقتاً أكثر من أي شخص آخر ، فمن الضروري أن يظهروا اتجاهات متفانلاً بخصوص قدرة الطفل على السيطرة على مهارات جديدة . فعلى سبيل المثال إذا كان الآباء دائماً يلبسون الطفل أو يخلعون ملابسه أو يساعدونه مساعدة كبيرة في ذلك، فإن الطفل ربما لا يتعلم أن يلبس نفسه أبداً . وإذا توقف الأطفال الآخرون من إخوة الطفل التوحدي وأخواته عن محاولة اللعب معه لأن الآباء أعطوهم انطباعات بأن الطفل التوحدي سيبقى رهين عالمه الصغير ، فإن ذلك الطفل ربما لا يتعلم أبداً أن يتفاعل مع أقرانه ورفاقه. وفي كلتا الحالتين سيفشل الطفل المسكين لأن والديه لم يعطياه الفرصة للنجاح بسبب افتقارهم إلى الحكمة والفتنة .

وبالطبع فإن الإسراف والإفراط في توقع الكثير من الطفل يمكن أن يكون محبطاً ومخيباً للأمال مثل توقع القليل منه . ومجرد أن الآباء يصلون بجد لتعليم الطفل التوحدي مهارات الحياة الأساسية لا يعني دائماً أن الطفل سيتعلم تلك المهارات؛ ولكن عدم المحاولة يؤكد أنه لن يتعلمها. من الأفضل بكثير أن يتوقع الآباء أن الطفل سيتعلم- مهما كان التعلم بطيئاً- بدلاً من حرمانه من فرصة المحاولة.

والحذر الحذر من أن يشكل الآباء توقعاتهم في الفراغ ، إذ ليسوا في الوجود وحدهم ، وليسوا وحدهم هم الذين يشغلهم أمر الطفل . فطبيهم أن يتحدثوا مع الأطباء والمعلمين ، والمعالجين النفسيين ، وآباء الأطفال التوحديين . وأهم

من ذلك ألا يفكر الآباء كثيراً في المستقبل . وعليهم بدلاً من ذلك أن يعيشوا في حدود يومهم ، وأن يركزوا على المهارة التالية ، وأن يحددوا أهدافاً قريبة المدى، وعليهم أن يتذكروا جيداً وأن يطموا علم اليقين أن أي نجاح صغير يحققه الطفل اليوم يمهّد الطريق أمام النجاح غداً .

وكما أن تحديد توقعات واقعية بالنسبة للطفل أمر مهم جداً فإن تحديد الآباء توقعات واقعية بالنسبة لأنفسهم لا يقل من حيث الأهمية . ففي بعض الأحيان يشعر الآباء أن ابنهم التوحدي يحتاج كل دقيقة من حياتهم؛ ولذا فإنه يستحق كل دقيقة في حياتهم . ويقع بعضهم في شرك الشعور بأنه بدون عملهم الدعوب المتواصل فإن طفلهم التوحدي لن يتعلم ، وأن أي ساعة لا يقضونها في تعليم الطفل تعتبر لهواً وعبثاً ووقتاً ضائعاً . وأخطر من ذلك الاعتقاد ما يقترن به من شعور بالذنب . فربما لا يستطيع الآباء أن يقطعوا كل شيء يجلب النفع إلى طفلهم التوحدي ؛ وليس هناك من الآباء من يستطيع فعل ذلك . كما أن الشعور بالذنب لعدم استخدام كل دقيقة لخدمة الطفل وتعليمه لا يفيد الطفل أيضاً بل قد يعوق أداء الأمور التي من شأنها أن تفيد الطفل . فعلى الآباء أن يكافحوا من أجل تحقيق التوازن . فالقصد والتوسط محمود في كل الأمور ، ورحم الله الإمام القحطاني إذ يقول :

فاقصد هديت ولا تكن متغالياً إن القدور تفور بالغليان

فعلى الآباء أن يقبلوا حدودهم ؛ وألا يشعروا بالذنب إذا لم يتمكنوا من تحويل كل الأحداث وكل الأوقات إلى فرص لتعليم الطفل . فعلى سبيل المثال يشعر بعض الآباء أن وقت تناول الطعام يعتبر مدرسة لتعليم الطفل مهارات تناول الطعام والاستقلال في إطعام نفسه؛ ولكنهم إذا لم يتداركوا أمر الاضطرابات ونوبات الغضب والهيّاج التي ربما تنتج بين الحين والحين فإبتهم ربما يشعرون بأنهم قد خذلوا الطفل ودفعوه إلى الفشل دفعاً، وفي بعض الأحيان يكون تجاوز وقت تناول الطعام هو جل ما يستطيع معظم الآباء قطه .

ج - الاستقلال :

من الطبيعي أن يشعر الآباء أن طفلهم ضعيف وقابل للعطب والهلاك لأنه توحدي . ومن الطبيعي أن يشعر الآباء بالأسى والأسف على طفلهم ، وأن يسعوا

إلى حمايته ووقايته . ولكنهم إذا تركوا الطفل يعتمد عليهم لفترة طويلة من الزمن فإن ذلك الطفل ربما يستحوذ على حياة الأسرة كلها ويهيمن عليها هيمنة كاملة؛ ولذا فإن الآباء بحاجة لأن يشجعوا أداء الطفل المستقل بقدر المستطاع حفاظاً على مستقبل الطفل وحياة الأسرة على حدّ سواء .

ومن أولى الخطوات التي تساعد على طريق الاستقلال أن يسجل الآباء طفلهم في برنامج تعليمي يتناسب مع احتياجاته . ولا يقل عن ذلك أهمية المناخ الذي يخلقه الآباء في البيت . وعلى الآباء وأفراد الأسرة أن يتوقعوا من الطفل أن يتعلم بعض مهارات مساعدة الذات من قبيل تناول الطعام وارتداء الملابس . وعليهم ألا يهرولوا ويسرعوا بمساعدته قبل أن يمنحوه الفرصة للقيام بشيء ما بنفسه، وعليهم أن يكافئوه عندما يؤكد ذاته بطريقة ملائمة . فعلى سبيل المثال يستطيع من يلبس الطفل أن يثني عليه ويمدحه ويظهره بحماس إذا التقط حذائه من الأرض وناولته له ، ولكن لا يقدم أي شيء من هذا الثناء أو ذلك الإطراء إذا استيقظ الطفل وخرج من سريره في منتصف الليل ، فالسلوك الأول سلوك صحيح وملائم ، في حين أن السلوك الثاني ليس ملائماً .

وقد يتساءل الآباء: ما الذي ينبغي أن نسعى إليه ونهدف إلى تحقيقه في عملنا لتحقيق الاستقلال؟ وأحد الاقتراحات هو أن يعمل الآباء على تحقيق المهارات التي تجعل من الممكن اصطحاب الطفل التوحدي معهم بين عامة الناس. أي المهارات المطلوبة والضرورية لتمكين الآباء من اصطحاب طفلهم إلى المتجر أو المطعم أو الأماكن العامة - من قبيل التعليمات البسيطة ، وتجنب السلوكيات غير الملائمة ، وعدم الدخول في نوبات الغضب والهيياج - فكل ذلك مهم لتحرير الأسرة من الحبس الذي قد يفرضه الطفل عليها داخل البيت .

٢ - الاتصال :

غالباً ما يستطيع الآباء أن يسهلوا وييسروا تكيف الأسرة مع توحديّة الطفل من خلال العمل على الاحتفاظ باتجاهات إيجابية ، إلا أن الاتصال الصريح الأمين يعتبر أمراً ضرورياً وحيوياً أيضاً . وليذكر الآباء جيداً أن تربية الطفل التوحدي تعتبر أمراً جيداً على كل المشاركين في تربيته . وليس من المهم

بالنسبة لأفراد الأسرة أن يتبادلوا المعلومات بخصوص ما يفيد وما لا يفيد في تربية الطفل فحسب، وإتاما من المهم أيضاً أن يشارك بعضهم بعضاً في مشاعرهم فيما يتعلق بوجود طفل معوق في الأسرة .

وعلى الآباء أن يشجعوا كل فرد من أفراد الأسرة أن يعبر عن عواطفه ويبوح بمكنون فؤاده ، وأن يستمعوا لما يقوله الآخرون دون إصدار الأحكام على ما يقولون . وعليهم أن يقيموا جواً من التقبل وأن يسمحوا لأفراد العائلة بالتعبير عن مشاعرهم السلبية من قبيل الغضب والكره والخوف والقلق والذنب تماماً مثلما يعبرون عن المشاعر الإيجابية . وإذا أشرك الجميع بعضهم بعضاً وأعلموا بعضهم بعضاً بتلك المشاعر فإتاهم يستطيعون أن يصلوا معاً من خلالها .

وأحياناً يشعر بعض أفراد العائلة - لا سيما الأطفال - بالذنب بخصوص الغضب والإحباط الذي يثيره الطفل التوحدي لديهم لدرجة أنهم يكتبون عواطفهم تماماً . وإذا حدث ذلك فعلى الآباء أن يؤكدوا لهم أن تلك المشاعر طبيعية، وأنه من الطبيعي والصحي أيضاً أن يعبروا عن أنفسهم ومشاعرهم . وعلى الآباء أن يأخذوا بالزمام - لا سيما مع الأطفال - بأن يشرحوا ويوضحوا بأنهم أنفسهم ربما يشعرون بالغضب الشديد والإحباط فوق الميز في بعض الأحيان . فالأمانة والصراحة من جانب الآباء ستخلق جواً للاتصال بين جميع الأطفال .

وبوسع الآباء أن يحثوا أطفالهم ، وأن يرتبوا لهم لقاءات مع أصدقاء أطفال معوقين . وربما تفيد المؤسسات والجمعيات المهتمة برعاية المعوقين في ترتيب مثل تلك اللقاءات . ويستطيع الآباء أن يرتبوا مع غيرهم من آباء الأطفال التوحديين أو المعوقين ما يشبه جمعيات أو مجموعات لأصدقاء الأطفال التوحديين بشكل غير رسمي إذا لم تتح تلك المجموعات في المتناول . أيًا ما كان الأمر فعلى الآباء ألا يقبلوا الصمت من أي فرد من أفراد الأسرة لمجرد أنهم يخافون أن يبوح ذلك الفرد بنفس المشاعر السلبية التي يخبرونها ويكابونها . فليس من شيء يستطيع الآباء فطه لمنع تلك المشاعر، وتركها تتفاقم ربما يجعلها تنمر ثماراً مرة، تتمثل في مشكلات مزمنة طويلة المدى ؛ ولا يجني الجميع منها إلا حصاد الهشيم؛ ولذا فإن مشاركة المشاعر مع أفراد الأسرة هي أول وأهم خطوة في تأسيس البيئة المؤيدة والمساعدة التي تحتاجها الأسرة لتبقى وتنمو وتزدهر .

٣- الدعم :

ربما يحتاج الآباء أن يصلوا إلى الآخرين من آباء الأطفال التوحديين طلباً للدعم. فهناك بعض الخبرات والمواقف التي تجعل آباء الطفل التوحدي يشعرون بالوحدة والعزلة. وقد تكون العزلة واضحة وصريحة - كأن يمتنع الأقارب والأصدقاء عن زيارتهم ، وقد تكون العزلة غير صريحة عندما يشعر آباء الطفل التوحدي أن الأقارب والأصدقاء لا يدركون ولا يفهمون ما تعنيه الحياة في وجود طفل توحدي . ولا شيء أفضل لعلاج ذلك الوضع من الحديث مع الآباء الذين خاضوا نفس التجربة وسلكوا نفس الطريق . فالآباء لا يستطيعون فقط أن يستلهموا القوة والعبرة من حكايات العائلات الأخرى ، ولكنهم يستطيعون أيضاً أن يحصلوا على قدر كبير من المعلومات العملية التي تفيد في المواجهة ، والمؤسسات والمصادر التي يمكن أن تقدم الدعم ، وأهم من ذلك أنهم ربما يجدون صديقاً حميماً بين أولئك الآباء .

وربما يمثل معلم الطفل والمتخصصون الذين يشرفون على رعايته مصدراً هائلاً للدعم لأن نصائحهم تركز على الخبرات التي تجمعت لديهم من التعامل مع العديد من الأطفال والعائلات، فربما يساعدون الآباء على تحقيق الراحة والارتياح، وربما يجيبون على تساؤلاتهم ويهدنون من روعهم ، وربما يقترحون عليهم طرقاً تساعد على مواجهة مشاعرهم . فليس هناك شيء يمكن أن يسهم في تخفيف مشكلة ما لدى آباء الطفل التوحدي أفضل من حل تلك المشكلة . ومجرد معرفة الآباء أن هناك من يثقون فيه وفي مساعدته وتعاونه في حل تلك المشكلة يمكن أن تهدئ من قلق الآباء .

وربما يؤدي تحرج الآباء أو خوفهم من الرفض من قبل أقاربهم أو مجتمعهم إلى الحد من الاتصالات الاجتماعية لدى العائلة . حيث يرى أفراد العائلة أنفسهم جزءاً من عائلة طفل توحدي ، ويفرضون قيوداً على اتصالاتهم بالعائلات الأخرى أو على الأنشطة المتصلة باحتياجات الطفل . وبالإضافة إلى ذلك فليس غريباً على عائلة الطفل التوحدي حديث العهد بالتشخيص أن تقلص اتصالاتها بالأقارب والأصدقاء والجيران . وهذه الاستجابة الطبيعية لتلك المشكلة تسمح

للعائلة بالتكيف واستيعاب الإعاقة . ومع ذلك فعندما تصبح تلك العزلة المؤقتة طوقاً دائماً فإن الأسرة تصبح على خطر عظيم بأن تضحى بالطفل .

ويجب أن تعمل عائلات الأطفال التوحديين على الاحتفاظ بالعديد من شبكات الاتصالات الاجتماعية لأنها تخدم كنظم للدعم الاجتماعي غير الرسمي . فطى سبيل المثال يمكن أن يكون الأصدقاء مصدراً للمعلومات عن الطفل أو عن المصادر التعليمية أو الطبية المحلية، كما أن الأصدقاء يمثلون متنفساً للآباء فيما يتعلق بالأمور أو الأسرار التي لا يستطيعون أن يبوحوا بها للمتخصصين . وعندما يساعد الآباء أسرهم على تجنب العزلة فإنهم يتيحون مزيداً من الفرص للطفل التوحدي ولباقى أفراد الأسرة على حدٍ سواء .

وحتى عندما يتوافر الدعم من العائلة والأقارب والأصدقاء والمتخصصين فلا تزال توجد بعض الأوقات التي ربما يفشل فيها الاتصال ويسيطر التوتر الناتج عن رعاية طفل توحدي على الآباء . وإذا حدث ذلك فطى الآباء أن يتوجهوا لمعالج نفسي أو إلى متخصص في الصحة النفسية طلباً للنصح والتوجيه ، وسيستطيع ذلك المتخصص أو المرشد النفسي أن يؤكد لهم أن مشاعرهم ليست طبيعية فحسب ، وإنما أيضاً لها ما يبررها ، ويستطيع أيضاً أن يزودهم ببعض مهارات المواجهة التي يحتاجونها لاستعادة التوازن العاطفي .

٤ - سلطة العائلة :

لعل شعور الآباء بالضبط والسيطرة وإسآكهم بمقآلآد أمورهم وأمور طفلهم يسآعدهم بدرجة كبيرة في التكيف مع الطفل التوحدي . وتلك السيطرة تعرف باسم سلطة العائلة . وهي تعني أن العائلة شريك كامل في جميع القرارات التي تؤثر على حياتهم وحيآة أطفالهم . وفي جميع تعاملاتهم مع المتخصصين - سواء في المجال الطبي أو المجال التطبيمي - يجب معاملة الآباء باحترام نظراً لما لديهم من معومات وبصيرة بالطفل لا تتوافر لغيرهم . وبناء تلك السلطة يحتاج وقتاً وجهداً . ويكسب الآباء تلك السلطة والسيطرة عن طريق تحصيل مزيد من المعومات عن التوحديّة وعن استراتيجيات الضبط والتطعيم الفعآلة ، وأهم من ذلك كله أن يفهموا طفلهم ، وأن يسآعدوا الآخرين على فهمه

ومعرفة نقاط القوة والضعف لديه. وأقصر وأفضل طريق لبناء تلك السلطة هو أن يصبح الآباء أكثر معرفةً بطفلهم . وجميع أفراد الأسرة بحاجة لأن يعملوا جميعاً معاً لتحقيق ذلك ، وأن يتوقعوا نفس الشيء من المتخصصين. فالمعلومات والمعرفة هي مفتاح سلطة الآباء ، والآباء الذين يتصفون بالمعرفة يعملون باحترام متبادل مع المتخصصين الذين يشرفون على رعاية طفلهم .

عوامل تعوق نجاح المواجهة:

بعض الطرق التي تسلكها عائلات الأطفال التوحديين في التكيف إثمها أكبر من نفعها، وأضرارها أكثر من فوائدها. وغالباً تنتج تلك الأخطاء عن نية طيبة وعواطف ملؤها الحب ولكن يعوزها التوجيه. والمزالق الثلاثة التي يجب على الآباء أن يحذروا من الانزلاق فيها هي: الانشغال والقلق الزائد، والحماية الزائدة، والرفض .

١- الانشغال والقلق الزائد:

في بعض الأحيان ينهمك أحد الآباء في احتياجات الطفل ويستحوذ عليه الاهتمام لدرجة أنه يكاد يمضي جميع ساعات يقظته في محاولة رعاية الطفل، واستثارته وتعليمه. والغريب أن هذا الانشغال الزائد ربما يؤدي إلى علاقات فعلاً تشجع الطفل على الاعتماد على أوبه بدلاً من استقلاله عنهما .

وربما يصبح الآباء بارعين في استشراق احتياجات الطفل مهما صغرت بحيث لا يحاول الطفل أن يتعلم مهارات الاتصال المناسبة أو السلوك السليم. فعلى سبيل المثال إذا أدرك الآباء أن الطفل عندما يدخل في نوبة غضب بعد استيقاظه من إغفاءة فإنه يريد عصيراً ويقدمون له العصير المطلوب ، فإن ذلك يساعد الطفل على تعلم طريقة مناسبة لطلب العصير ، وأدهى من ذلك وأمر أنه سيعزز الطريقة الخاطئة التي يطلب بها الطفل العصير ألا وهي تلك النوبات .

ولا يقتصر ضرر ذلك الأسلوب على الأب الذي يفرط في انشغاله بالطفل، بل قد تهدد وتزعزع العلاقات الزوجية ، وقد تشعر الأطفال الآخرين بالإهمال. وبصفة عامة عندما تسيطر احتياجات فرد معين في الأسرة على اهتمام أحد الوالدين وتهيمن عليه، فلن يبقى للوالد الآخر لبقية أفراد الأسرة إلا النزر اليسير

من الوقت والطاقة؛ ولذا فإن أفراد الأسرة الذين يشعرون بالإهمال ويتجرعون مرارته ربما يصبون جام غضبهم وحنقهم على ذلك الوالد الذي يهملهم ، أو على الطفل التوحدي ؛ والذي ينظر إليه على أنه المسبب في تشغال ذلك الوالد عنهم ، وربما ودوا لو مات ذلك الطفل أو قتل ليخل لهم وجه أبيهم ويكونوا من بعده محبوبين لديه ومقربين إليه كما كانوا من قبل . وإذا شعر أحد الآباء بأنه يهمل أيضاً من أفراد الأسرة فليراجع ذلك معهم ، ولينشئ خطأ مفتوحاً معهم بحيث يستطيع كل منهم أن يناقش احتمالات ذلك الانشغال . وإذا استمرت شكاوهم ، فربما يكون ذلك مؤشراً على أن ذلك الوالد لا يحقق توازناً صحيحاً وأنه ربما يحتاج إلى مساعدة المتخصصين .

٢- الحماية الزائدة :

من الطبيعي أن يحاول الآباء أن يحموا أطفالهم من المخاطر المحتملة التي قد تحدث بهم ، وأن يوفرُوا لهم الملاذ الآمن والحصن الحصين من تلك الأخطار والأضرار . ومع ذلك فإن بعض الآباء قد يغالون ويفرطون في ذلك ، ولا سيما مع الطفل التوحدي الذي ينظرون إليه على أنه معوق وعاجز عن أن يفعل أي شيء لنفسه ، وسرعان ما يهرولون لتلبية رغباته .

ورغم أن تلك الحماية الزائدة غالباً ما تؤدي إلى عواقب وخيمة ، وأضرار جسيمة . وربما يتحول الطفل التوحدي إلى طاغية صغير يحكم الأسرة بقبضة من حديد ، ويهيج ويثور عندما يطلب منه أي شيء أو عندما توضع أدنى الحدود وأوهى القيود على سلطاته الجائرة . كما أن الطفل التوحدي غالباً ما يشعر آباءه بالإحباط ويصيبهم بالخيبة والبؤس عندما يطلبون منه شيئاً ويفشل في تحقيق السمع والطاعة لهم .

وإذا شعر الآباء أن طفلهم قد تحول إلى طاغية ، فطبيهم أن يستشيروا بعض الآباء الذين خاضوا تجربة مشابهة ووصلوا بطفلهم إلى بر الأمان ، فربما يجدون عندهم توجيهاً ، أو ربما يزكون لهم متخصصاً تعاون معهم ويمكن أن يفيدهم في علاج تلك الحالة الجديدة .

٣- الرفض :

يرى معظم الآباء أن السلوكيات المرتبطة بالتوحدية من قبيل إثارة الذات سلوكيات تبعث على الضيق والضرر . ويلجأ بعض الآباء إلى الهروب العاطفي والبدني والبعد عن الطفل وتجاهل مشكلاته واحتياجاته ليتجنبوا التوتر والغم الذي تسببه لهم تلك السلوكيات ؛ وقد يتحول هذا الهجر وذلك البعد إلى رفض للطفل . وهذا يؤدي كلاً من الآباء والطفل من خلال انتقاص شعور الآباء بالكفاءة وتقدير الذات . وربما تكون مساعدة المتخصصين مفيدة لكي يستعيد الآباء السيطرة .

المراقبة عن كثب :

لا يحول وجود الطفل التوحدي الآباء تحولاً سحرياً إلى أناس فوق حدود البشر، ولا يزيدهم شيئاً فوق بشريتهم فهم لا يصبحون ذوي طاقة لا تنفذ وصبر لا يعرف الملل وقدرات تعليمية أشبه بالمعجزات وبالإضافة إلى ما يواجهه الآباء مع طفلهم التوحدي ، فإن عليهم أن يكسبوا قوتهم ، وأن يأكلوا ويناموا ويقوموا برعاية الأطفال الآخرين ، وبتنظيف البيت - إلى غير ذلك من الأعباء الأسرية، كما أنهم يعيشون أياماً حلوة وأخرى مرة ، يسرهم زمن وتسوؤهم أزمان؛ ولذا يتحسر بعض آباء الأطفال التوحديين لأن العالم لا يراهم على حقيقتهم فيحسبهم أحياء وهم أموات في ثياب أحياء ، بل وينظرون إليهم على أنهم موهوبون . وهذا ربما يوجد مستوىً عالياً يجعل الشعور بالذنب يستحوذ عليهم . ولعل هيلين فيذرستون قد أصابت كبد الحقيقة عندما وصفت حالها كوالدة لطفل ذي تخلف عقلي حاد على النحو التالي : "هب أنني شخص عادي يمشي بمفرده بجوار نهر جليدي معزول ورأي شخصاً يغرق في هذا النهر . فثمة خياران أمام هذا الشخص: إما أن يقفز في النهر ويحاول إنقاذ الغريق ويعرض نفسه لخطر الموت غرقاً، أو أن يبقى على الشاطئ ويرسل زفرات الأسي والحزن على ذلك الغريق . فهما طريقان لا ثالث لهما: فإما أن يكون بطلاً كما في الحالة الأولى، وإما أن يكون جباناً كما في الحالة الثانية. وليس هناك إمكانية العودة إلى ما كان عليه من قبل- شخص عادي . وكأم لطفل ذي تخلف عقلي حاد فإني أشعر بأنني في نفس الموقف: فإما أن أكون بطلةً أو جبانةً، حتى وإن كنت لا أزال إنسانةً عاديةً ."

وحتى إذا تطلبت رعاية الطفل التوحدي من الآباء جهوداً فوق قدرات البشر في بعض الأحيان ، فإنهم لا زالوا نفس الأشخاص ونفس البشر. وعليهم أن يحددوا لأنفسهم أهدافاً ومستويات وقواعد . وليتذكروا جيداً أن أهم ما في الأرض هو نظرتهم إلى أنفسهم وليس نظرة الناس إليهم .

إخوة الطفل التوحدي وأخواته :

لا شك أن جميع الآباء يودون أن يروا أبناءهم إخوة متحابين مترابطين متماسكين متآزرين تربطهم وشائج الحب والرحمة والتفاهم. وعندما يتم تشخيص أحد الأبناء على أنه توحدي ، فليس من شك في أن الآباء سينشغلون ويقلقون بخصوص الآثار السلبية التي يمكن أن يتركها ذلك التشخيص على حياة باقي الإخوة والأخوات داخل الأسرة . وليس من شك في أن توحيدية الطفل تؤثر على طريقة ارتباطه بإخوته وأخواته وطريقة ارتباطهم به . وعلى الآباء ألا يفترضوا أن جميع تلك الطرق ستكون سيئة . وبعيداً عن ذلك فإن وجود الطفل التوحدي يمكن أن يمثل بالنسبة للإخوة والأخوات مصدراً للتوتر أو الإثراء ، والسخط والغضب أو المتعة ، والغم أو المكافأة . وبعبارة أخرى فإن الأمر لن يختلف كثيراً عن كونهم إخوة وأخوات لأي طفل آخر . وستتناول فيما يلي الآثار السلبية والإيجابية التي يمكن أن يتسبب فيها وجود الطفل التوحدي على إخوته وأخواته ، وما الذي يمكن أن يفعله الآباء لتشجيع العلاقات الإيجابية :

مشاعر الأطفال :

بينما يبدأ الأطفال في الاهتمام بالعالم من حولهم فإنهم ستتكون لديهم أفكار ومشاعر متعلقة بأخيمهم التوحدي . وفي البداية سيلاحظون أن أخاهم يستغرق وقتاً أطول في تعلم المهارات الأساسية مثل الكلام ، واللعب بالدمى ، وقضاء الحاجة . ولكنهم سيفهمون بالتدريج أن أخاهم يعاني من الإعاقة ، وفيما يلي ملخص لأهم الأفكار والمشاعر التي يمر بها أخوة الطفل التوحدي وأخواته .

أ- في سنوات ما قبل المدرسة :

يتسم الأطفال الصغار بقدر كبير جداً من التلقئ؛ ولذا يمكن أن يتوقع الآباء أن يلاحظ أولئك الأطفال قلقهم على الطفل التوحدي . ويمكن أن يلاحظ أولئك

الأطفال أن هناك فروقاً مرتبطة بالنمو ، وربما يحاولون المساعدة في تعليم بعض المهارات ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يفهموا معنى التوحدية . وربما يسألون بعض الأسئلة . وربما يرفضون الوقت الذي يقضيه الآباء في البيت في تعليم الطفل التوحدي أو في تطبيق بعض برامج التدخل المبكر معه . وربما يتراجع بعضهم في تقدمه ويشرع في إظهار النكوص في بعض الجوانب ليحظى باهتمام الآباء ، أو ليقنعوهم بأنهم أيضاً غير ناضجين وما زالوا بحاجة إلى معاملة خاصة ودمى خاصة . وفي بعض الأحيان يتكلم أولئك الأطفال على نحو غير ناضج أو يبللون الفراش وإن كانوا قد تدربوا على سلوكيات ومهارات قضاء الحاجة واكتسبوا لعدة شهور . ويميل أطفال ما قبل المدرسة إلى عدم مناقشة مشاعرهم بخصوص أخيهم التوحدي بصراحة . ورغم أنهم لم يتعلموا بعد إصدار الأحكام ، فإنهم سيقبلون أخاهم التوحدي كما هو . وأجمل ما في الأمر أنهم ربما يقعون في حب ذلك الطفل العاجز .

ب- في سني الدراسة :

في فترة ما بين الثالثة والسادسة ربما يشرع الأبناء في التساؤل عن الخطأ أو الخلل الذي يعاني منه أخوهم . وربما يقلقون ويخافون من أن تدهمهم التوحدية أو أن تشب فيهم أظفارها فيقعون في برائتها ولا يستطيعون منها فكاكاً . وبالإضافة إلى ما سبق فإنهم ربما يشعرون بالذنب على الأفكار السلبية التي جالت في خواطرهم واعتلجت في أذهانهم تجاه أخيهم التوحدي . فعلى سبيل المثال ربما يثير الحسد والغيرة على الوقت الزائد الذي يقضيه الآباء مع الطفل التوحدي نوعاً من مشاعر الذنب لدى الأطفال الآخرين . وربما يحسن بعض الأطفال التصرف على نحو خاص . وربما يصبح بعضهم متعاوناً ومطيعاً بدرجة كبيرة ، وبدرجة تتجاوز حدود مصلحتهم ومصلحة أسرتهن ومصلحة الطفل التوحدي . وربما يسيء بعض الأطفال التصرف عن عمد لتخلو لهم وجوه آبائهم وليصرفوا انتباههم إليهم وعن أخيهم التوحدي .

وفي فترة تمتد لمعظم سنوات التعليم الأساسي ، فإن إخوة الطفل التوحدي ربما توجد لديهم مشاعر متصارعة بخصوص أخيهم العاجز . ففي بعض الأحيان

يسرون لأن أخاهم بحاجة إليهم ولا يستغني عنهم ، وفي أحيان أخرى يشعرون أنه مجرد آفة ضارة . في حين أن أطفالاً آخرين ربما يفظون أخاهم ، وقد يدافعون عنه في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى لا يدافعون عنه . وربما يرفضون فعل بعض الأشياء التي يعجز أخوهم عن فطها ، وربما يتنمرن ويشكون من الآباء الذين يدللون الطفل التوحدي على حسابهم ويعتبرون ذلك نوعاً من الظلم والإجحاف .

ج- في فترة المراهقة :

أهم شيء لدى المراهقين هو أن يتوافقوا مع الجمهور الصحيح؛ ولذا فإنهم يدركون بدقة الفروق الموجودة بينهم وبين الآخرين؛ ولذا فإن المراهقين ربما يشعرون بالحرع من أخيهم التوحدي عندما يأتي أصقلاؤهم إلى البيت ، أو عندما يخرج الجميع في نزهة . ورغم أنهم لا يزالون يحبون أخاهم ويريدون أن يساعدا في رعايته ، فإنهم ربما تمزقهم الرغبة الطبيعية في الحرية والاستقلال . وربما يرفضون جميع المسئوليات المفروضة عليهم ، وليس مجرد مسئوليتهم عن أخيهم التوحدي . وبالإضافة إلى ذلك فإنهم ربما يقلقون بخصوص مستقبل أخيهم التوحدي وتأثيره على حياتهم .

التعامل مع مشاعر الطفل وعواطفه :

ربما يمثل وجود الطفل التوحدي ضغطاً على الإخوة والأخوات لا يقل عن الضغط الواقع على الآباء . وبصفة عامة فإن الأطفال الآخرين سيتبعون النموذج الذي يقدمه الآباء في التعامل مع هذه الضغوط ، ولكن طريقتهم في التكيف ربما تكون معقدة بفعل العواطف المتضاربة والمتصارعة . فطى سبيل المثال قد يكونون مترددين في مساعدة أخيهم الذي يتسم بالتمزق والتخريب ، ويستنفد وقت آباءهم النفس . وفي بعض الأحيان يشعرون بأنهم غير محبوبين ، ومرفوضون ، ومهملون ، ولكنهم يحاولون أن يخفوا مشاعرهم ، أو أن ينفسوا عنها بطرق غير ملائمة . وهذا يعني أن الآباء قبل أن يتمكنوا من مساعدة أطفالهم في التعامل مع عواطفهم فإن عليهم أولاً أن يسبروا غور تلك المشاعر ويتعرفوا عليها . وهذا يتطلب صبراً جميلاً ، وملاحظة دقيقة ، واستماعاً مصغياً .

المعلومات :

لا يستطيع الآباء أن يسيطروا على الخوف من المجهول ، كما أنهم لا يستطيعون أن يحتكروه . فالأطفال الآخرون من إخوة الطفل التوحدي وأخواته أيضاً يقلقون بخصوص طريقة تأثير وجود الطفل التوحدي عليهم وعلى أسرته . وربما يتساءلون هل سيجب عليهم دائماً أن يصطحبوا أخاهم إلى المدرسة ؟ وربما أن يصطحبوا أخاهم إلى المدرسة ؟ وربما يقلقون من أنهم ربما يتسببون في استمرار توحديته أو زيادتها سوءاً . وبينما يتقدمون في السن فإنهم ربما ينشغلون بخصوص إتجاب طفل توحدي عندما يتزوجون في المستقبل ، أو بخصوص رعاية أخيهم في المستقبل .

وأفضل طريقة للتعامل مع تلك الاهتمامات هي ترويد الأطفال بأكبر قدر ممكن من المعلومات التي يستطيعون أن يستوعبوها عن التوحدية . وعلى الآباء أن يكونوا صادقين وأمناء مع أطفالهم بقدر المستطاع ، وليستوثق الآباء من أنهم يعرضون تلك المعلومات بطريقة تحترم أعمارهم ونموهم العقلي . فلا ينبغي - على سبيل المثال - أن يخبر الآباء طفلهم الذي لم يتجاوز خمس سنوات أن أخاه يعاني من مشكلة في التفاعلات الاجتماعية . بل عليهم أن يخبروه أن أخاه لا يعرف كيف يلعب ويعاني من مشكلة في التعلم . كما أن عنصر الوقت من الأهمية بمكان . وليتذكر الآباء أن المعلومات الكثيرة يمكن أن تسيطر على الطفل وتستحوذ عليه . وعليهم أن يتعرفوا على الأوقات التي يكون فيها تقديم معلومات بسيطة بمثابة بذور لمعلومات أكثر تفصيلاً فيما بعد . وأياً ما كان سن الأطفال فعلى الآباء أن يكونوا مستعدين لتصويب المعلومات الخاطئة التي ربما يكتسبها أطفالهم من زملائهم أو ممن هم أكبر منهم سناً .

التوازن :

على الآباء أن يتذكروا دوماً أن الطفل التوحدي جزء من الأسرة وليس مركزها . فرغم أن الأطفال الآخرين ربما لا يحتاجون الرعاية العاطفية والبدنية التي يحتاجها الطفل ، فإن لديهم احتياجات لا يمكن تجاهلها . ومن المهم أن يوازن الآباء بين المطالب الكثيرة المطلوبة منهم بحيث يحصل جميع الأطفال على نصيبهم من الاهتمام الأبوي ويحصلوا على نصيبهم العادل من المسؤولية . وإلا

فإن إخوة الطفل وأخواته ستستبد بهم الغيرة وسيأكلهم الحقد والحسد للوقت الذي يستنفده أخوهم التوحدي من وقت الآباء واهتمامهم . وربما يعترضون على المعاملة الخاصة التي يحصل عليها عندما يقوم ببعض الأمور التي يقومون بها بشكل ميكانيكي .

وبالإضافة إلى توزيع الآباء اهتماماتهم بالتساوي ، فإنهم بحاجة لأن يفرضوا توازناً عادلاً بين المسؤوليات والالتزامات داخل البيت . فمن يتسامح الأطفال طويلاً مع كونهم عبيداً للطفل التوحدي ، بل سرعان ما تتورث ثقتهم ويتنامى غيظهم وحنقهم وغضبهم فينبغي أن يحمل كل فرد في الأسرة جزءاً من الأعباء ، كل على قدر طاقته كما يقول ربنا عز وجل : *فصالت أودية بقدرها . والمدخل إلى ذلك هو جعل الطفل يساعد بطريقة أو بأخرى . والأهم من قيام الطفل التوحدي ببعض الأعمال هو أن يشعر بقيمة أخوته بأن الآباء يتوقعون منه أن يقدم بعض المساعدة في بعض الأعمال .*

وثمة أمر مهم لتحقيق التوازن في المسؤوليات الأسرية ألا وهو تجنب تحويل أخوة الطفل وأخواته إلى آباء للطفل بتكليفهم بكثير من المسؤوليات . فمن ناحية ينبغي أن يشجع الآباء الأطفال على أن يقوموا بدور فعال في البرامج التعليمية والعلاجية التي يتلقاها أخوهم التوحدي - حيث يجد كثير من الآباء أن ذلك يقوي الروابط بين أطفالهم . ومن ناحية أخرى عليهم أن يحذروا من أن تتدخل تلك المسؤوليات تدخلاً سلبياً في النمو والتطور العاطفي للأطفال غير المعوقين . فعلى سبيل المثال عندما لا تندمج طفلة في سن السادسة عشرة مع صديقاتها لأن أمها تعتمد عليها في رعاية أخيها التوحدي ، فإن ذلك ليس موقفاً صحيحاً . وحتى إذا بدأ الأطفال مستعدين للقيام ببعض أدوار الآباء ، فإنهم سيعترضون على من يطالبهم بمرعة النضج والنمو .

ويمضي التوازن إلى ما هو أبعد من ذلك: ألا وهو الاحتفال بالانتصارات الصغيرة التي ينجزها الطفل التوحدي . فأباء الأطفال التوحديين بحاجة إلى التركيز على المكاسب حتى وإن كانت بسيطة وصغيرة . وعليهم أن يتذكروا أيضاً أن الأطفال الآخرين يستحقون نفس المعاملة . فهم أيضاً لديهم من الانتصارات الصغيرة ما يحبون أن يلاحظه الآباء ويحتفلوا به . وعلى الآباء ألا ينظروا إلى

تقدمهم ونموهم وتطورهم وتعليمهم وإنجازاتهم الأخرى على أنها أمور مفروغ منها. فطى الآباء أن يحتفلوا بالانتصارات التي يحرزها الجميع، فالإنجازات هي الإنجازات، أياً كان من أنجزها .

التنظيم :

لطفه من الخير أن يركز الآباء على الحاجة إلى التوازن في حياتهم ؛ ولكن أنى لهم أن يواجهوا تلك المطالب التي لا تنتهي والتي تستقطب انتباههم؟ فالمطالب كثيرة وساعات العمر محدودة. ويمكن الحل في تنظيم الوقت. ووجود الطفل التوحدي ربما يجعل الأمر أكثر تعقيداً، ولكنه أمر يستحق ما يبذل فيه من جهد؟

ولا شك أنه حتى أفضل الخطط قد يعثرها القصور والتغيير . فالأطفال لا يرتبون مشكلاتهم ولا أزماتهم وفقاً لجدول معين ، وأنى لهم أن يفعوا ذلك إن أرادوا ؟ فكتيراً ما يخدشون أقدامهم ، أو تدهمهم الكوابيس المزعجة ، ولربما يدخلون في عراك وشجار مع بعضهم بعضاً دون أدنى سابق إنذار، وعندما يحدث ذلك فإنهم بحاجة لانتباه واهتمام الوالدين الكامل وعلى الفور . ومع ذلك فثمة أمور تساعد الآباء على تنظيم أوقاتهم بحيث تناسب شئون الأسرة بسهولة ويسر، ونذكر منها ما يلي :

١ - راقب عن كثب مقدار الوقت الذي تقضيه مع كل طفل . وحاول أن تقضي بعض الوقت مع كل طفل على حدة .

٢ - لمنع شعور الأطفال الآخرين بالإهمال ، حاول تنظيم وجدولة الفترات التي تقضيها مع الطفل التوحدي بحيث توافق أوقات لا يتواجد فيها إخوته وأخواته .

٣ - شجع الأطفال على اللعب الجماعي عندما يكونون في البيت .

٤ - حاول أن تشغل الأطفال باستمرار من خلال تنظيم وقت اللعب والعمل والخروج . ولتذكر دائماً قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى " نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل " . وكذلك الأطفال إذا لم تشغلهم بأمور نافعة فسيشغلونك بمشكلاتهم .

٥ - تنظيم مساعدات الآخرين ، وترتيب أوقات للخروج واللعب الجماعي، وتوفير من يقوم بدور المربيات وذلك بالتعاون مع الآخرين من الآباء .

الفردية :

على الآباء أن يعاملوا طفلهم التوحدي كفرد له هويته وكونونه المستقلة، وكذلك بقية الأطفال. وهم بحاجة للحياة خارج الأسرة. وإذا لم تتقيد هويتهم بكونهم أشقاء لطفل توحدي ، فبتهم سيحتاجون للأصدقاء والتقبل الاجتماعي والمسئوليات خارج نطاق الأسرة . وعلى الآباء أن يشجعوهم على القيام بالعديد من الأدوار من قبيل الألعاب الرياضية ، والأعمال الفنية والدراسات العلمية التي تنسجم مع قدراتهم ورغباتهم . وإذا استشعر الأطفال خيراً في أنفسهم كأفراد ، فإنهم سيستشعرون ذلك الخير في كونهم جزءاً من أسرة طفل معوق ، وسوف يسعدون بتقديم الدعم لآبائهم ولشقيقهم المعوق .

الخصوصية :

بالإضافة إلى تشجيع الآباء لأطفالهم على أن تكون لهم هويتهم الذاتية المستقلة ، على الآباء أن يحاولوا منحهم شعوراً بالخصوصية . وعليهم أن يساعدهم على فهم أن كونهم إخوة لطفل توحدي يمنحهم خصوصية ليست لسواهم - والمقصود بالخصوصية هاهنا كل ما تحمله الكلمة من معانٍ إيجابية. وليبرز الآباء الطرق التي يستطيع الأطفال من خلالها أن يحدثوا تغييرات في حياة شقيقهم ، أو الطرق التي من خلالها يسهمون في تيسير حياة الأسرة وتسهيلها. وعلى الآباء أن يقدموا للأطفال التناء الحسن والمدح الجميل والإطراء الحميد والشكر فوق المزيد على عواطفهم ومشاعرهم الإيجابية ، وعلى قدراتهم على المواجهة ، والمسئوليات والأعباء الإضافية التي يتحملونها في صمت وصبر ورضا . وخلاصة القول أن على الآباء أن يجطوا أطفالهم يعرفون أنهم وأخاهم التوحدي يحتاجون إليهم ، وأنهم يقدرون إنجازاتهم حتى قدرها.

وفي نفس الوقت الذي يثني فيه الآباء على خصوصية الأطفال، فبتهم بحاجة لأن يعرفوا أو يدركوا أن الأطفال - مثلهم مثل الآباء - يتوقون في بعض الأحيان إلى أن يكونوا طبيعيين. فوجود الطفل التوحدي أحياناً يجلب معه تمييزاً غير مرغوب فيه خارج الأسرة، ونقصاً في الانتباه داخل الأسرة، وفي هذا المعنى تخط هيلين فيزرمستون السطور التالية:

عندما أستمع إلى الإخوة والأخوات الطبيعيين وهم يتحدثون عن الحياة الأسرية ؛ فإنني أصف مشدوهة ومدموغة بفعل ذلك التناقض الذي أسمعته بخصوص الإعاقة . ففي العالم الخارجي ، في المدرسة ، وفي مناطق العالم الجوار يتوق الأطفال لأن يكونوا مناسبين ، وملاحمين ، ومشابهين للآخرين . وفي هذا السياق فإن إعاقة أحد أشقائهم تدمغهم بأنهم متخلفون . ففي داخل الأسرة يريد كل طفل أن يكون فريداً وذا خصوصية . ويريد كل طفل أن يحصل على تأكيد بأنه يحتل مكاناً فريداً في محيط الأسرة . هاهنا تمثل الإعاقة ميزة خاصة إذ تمثل معبراً ومدخلاً للحصول على انتباه خاص ، وتمييز خاص ، وتحيزات خاصة . ومحصلة ذلك فيما بعد أن يتذكر الأشقاء الذين ليس لديهم إعاقات طفولة ملؤها الغيرة والحقد والحسد والرفض ."

وليس هناك من نصيحة مثلى للخروج من تلك الورطة ، ولكن ربما يكون من المناسب أن يتيح الآباء للأطفال أن يحققوا الخصوصية عندما يريدون ذلك ، وأن يتيحوا لهم الفرص لأن يشبهوا الآخرين عندما يريدون ذلك .

التعامل مع المشكلات :

ليس من شك في أن وجود الطفل المعوق يسبب مشكلات لإخوته وأخواته . فربما يغيظهم الأطفال الآخرون ويعتوهم بصفات قاسية وتعليقات لاذعة على أخيهم ، بل إن بعض المراهقين الآخرين ربما يربكونهم ببعض التعليقات التي تفتقر إلى اللياقة والإحساس . وبينما تزداد أهمية تقبل الأقران والتفاعل الاجتماعي بالنسبة للأطفال ، فإن احتمال تعرضهم للإحراج بسبب أخيهم يزداد . بل إن الأطفال ربما في مرحلة ما من حياتهم يرفضون المسنوليات الإضافية المقترنة بوجود الطفل التوحدي ، ولربما تمنوا أن لم تكن أسرهم مختلفة عن بقية الأسر .

وقد تكون أول الأمور الفطرية الغريزية أن يحاول الآباء رأب الصدع لدى أطفالهم وإقالة عثرتهم وتخفيف أعبائهم وآلامهم العاطفية - بأن يصححوا بعض الأمور الخاطئة من خلال التدخل لدى الأفراد الذين يتسببون في مضايقتهم ، فيما يتعلق بإعاقة أخيهم ، ولكن على الآباء أن يقاوموا ذلك الباعث على الإنقاذ والحافز على النجدة ، فالأفضل من ذلك أن يطموا أولادهم أن يقاوموا هذه

المشاعر . وعلى الآباء أن يتعرفوا على شعور الأطفال بالألم والارتباك وأن يقرأوا تلك المشاعر ، ولكن عليهم أيضاً أن يخبروهم أنهم يثقون فيهم وفي قدرتهم على التعامل مع تلك الآلام ومواجهتها ومنازلتها . وعلى الآباء أن يشركوا الأبناء في خبراتهم المؤلمة التي مروا هم أنفسهم بها ، ويوضحوا لهم كيف استجابوا لتلك الخبرات وتعاملوا معها واجتازوها بنجاح . بل وأجمل من ذلك وأكمل أن يحيلوا تلك العثرات إلى نهضات ، وتلك المحن إلى منح ، وأن يصنعوا من الليمونة الملوحة شراباً حلو المذاق ، وأن يحيلوا السم الزعاف إلى ترياق . وليضعوا نصب أعينهم تلك النماذج المشرقة التي لم تحطمها الكبوات ، وإنما كانت باعثاً للنهوض والتخليق في أعلى الآفاق . فما هو عبدالله بن عباس رضي الله عنه عندما فقد عينيه ، وعرف أنه سيقضي ما بقي من عمره مكفوف البصر ، محبوساً وراء الظلمات عن رؤية الحياة والأحياء ، لم ينطو على نفسه ليندب حظه العاثر . بل قبل القسمة المفروضة ، ثم أخذ يضيف إليها ما يهون المصاب ويبعث على الرضا ، فقال :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور

قلبي ذكي ، وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مسلول

وقال بشار بن برد يرد على خصومه الذين نددوا بصاه:

وعيرني الأعداء ، والعيب فيهمو فليس بعار أن يقال ضرير

إذا أبصر المرء المروءة والتقى فإن عمى العينين ليس يضير

رأيت العمى أجراً، وذخراً وعصمةً وإني إلى تلك الثلاث فقير

وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، يستهين بتكديله خصومه،

فيقول: "إن سجنني خلوة، ونفسي سياحة، وقتلي شهادة . " وتلك الفواجع هي

أقصى ما يصنعه الطغاة. ولكنها عند ذلك الرجل الكبير قد تحولت إلى نعم

يستقبلها بابتسام لا باكتئاب. فأصحاب اليقين، وأولو العزم فهم يلقون الحياة بما

في أنفسهم من رحابة ، قبل أن تلقاهم بما فيها من عنت... فقد يتبرم أكثرنا

بالظروف التي تحيط به، وقد يضاعف ما فيها من نقص وحرمان ونكد، مع أن المتاعب والآلام هي التربة التي تنبت فيها بذور الرجولة (محمد الغزالي، ١٩٩٦).

وليستوثق الآباء من أن أبناءهم يفهمون أن على التوحديّة يقع اللوم في سلوك أخيه، وليس على أخيه يقع الملام؛ وليس من الإنصاف أن يؤخذ ذلك المسكين بذنب قد اقترفته يدا التوحديّة ولم ترتكبه يداه. ولن يكون ذلك مفيداً في صرف غضب الأطفال من الطفل إلى التوحديّة فحسب، وإتما أيضاً يمكن أن يساعدهم في تقليل وتقليل مشاعر الذنب لديهم.

وليستذكر الآباء جيداً أن لا أحد من الآباء يستطيع أن يحل جميع المشكلات التي تعترض سبيل أطفاله. بل إن مجرد محاولة فعل ذلك يمكن أن تضر أكثر مما تنفع. فقد يؤثر الآباء تأثيراً سلبياً على نمو طفلهم التوحدي عندما يفرطون في مساعدته، فعند ذلك الحال بالنسبة لإخوته غير المعوقين فإن الآباء ربما يمنعون أولئك الأطفال من تعلم المواجهة بأنفسهم. وإذا حافظ الآباء على خطوط الاتصال والتواصل مفتوحة وساندوا الأبناء ودعموهم بالمعلومات والفهم، فإن أولئك الأطفال سيطورون طرقهم وأساليبهم الخاصة بهم في المواجهة دون أن يفقدوا حبهم لأخيهم أو صداقتهم لأقرانهم.

وإذا عانى الأطفال من كثير من المشكلات المتعلقة بالتكيف مع توحديّة أخيهم، فعلى الآباء أن يفكروا جيداً في الاستشارة النفسية بخصوصهم. فمراجعة المتخصصين لا تقل في أهميتها ولا فائدتها بالنسبة للأطفال عنها بالنسبة للراشدين. وعلى الآباء ألا يحرّموا الأطفال من تلك المساعدة لأنهم يظنون أن تلك المشكلات يجب أن تحل داخل الأسرة. فليس الأمر كذلك. وليعلموا علم اليقين أن البحث عن المساعدة والعون لأطفالهم لا يعني الفشل والإقرار بالفشل؛ بل هو تعبير عن الحب والاهتمام. فقد تؤدي إتاحة الفرصة للأطفال لمراجعة المتخصصين إلى إنجاز وتحقيق ما يعجز الآباء عن تحقيقه.

توحديّة الطفل وعلاقات الآباء الزوجية:

الزواج آية من آيات الله "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا..". وكل زواج يعتبر حالة فريدة. وعلاقة بين الزوجين مزيجاً أصلياً من القيم

والاهتمامات والخبرات المشتركة بين الزوجين . وبغض النظر عن نقاط القوة والضعف لدى كل من الزوجين ، فإن وجود طفل توحدي في الأسرة يؤدي إلى مشكلات معينة في معظم العلاقات الزوجية . فطى سبيل المثال يجد كل من الزوجين أن وجود الطفل التوحدي يقلص ويقتل الوقت الذي يخصصه ويكرسه لزوجته . كما أن العلاقات تزداد تعقيداً بفعل العواطف القوية المتصارعة التي يعاني منها كل من الزوجين بوصفهما آباء لطفل توحدي . ويستحوذ القلق على جميع الآباء بخصوص مستقبل الطفل ، وبخصوص اعتماده عليهم على المدى البعيد ، وأثار ذلك على زواجهم .

وبصفة عامة إذا كانت علاقة الزوجين ببعضهما قوية، فإن الزواج يستطيع أن يقاوم الضغوط الإضافية المرتبطة بوجود الطفل التوحدي . وربما يشعر بعض الآباء أن وجود الطفل التوحدي قد قربهم من بعضهم وقوى الأواصر بينهم، وعزز الروابط بينهم. وزيدة القول أن كون تأثير للطفل التوحدي على العلاقات الزوجية سلبياً أو إيجابياً يتوقف على الدعم الذي يقدمه كل من الزوجين للآخر .

ومن أفضل الطرق التي يساعد بها كل من الأبوين الآخر ، أن يشارك كل منها الآخر في مشاعره بخصوص الطفل التوحدي . وليتذكر الآباء أن من الطبيعي أن تتحول عواطفهم من الحب إلى البغض ، ومن الأمل إلى اليأس في بعض الأحيان . وإذا استطاع الأبوان أن يخبر كل منهما الآخر بمشاعره وعواطفه ويشركه فيها ، فإنهما سيتمكنان معاً من اجتثاثها من جذورها ، أو سيبحثان معاً عن المساعدة التي تمكنهم من المواجهة .

وإذا فشل أحد الأبوين أو كلاهما في المواجهة ، وانزلق إلى مستنقع الغضب غير المحكوم ، فسيصعب على الآخر أن ينقذه عاطفياً . وكما رأينا في الفصل الثاني ، فإن الآباء غالباً ما يشعرون بالغضب بعد أن يطموا أن طفلهم توحدي . وربما يصبون جام غضبهم وعظيم غيظهم ومفرط سخطهم على الأقدار أو على الأطباء أو على المتخصصين الذين استشاروهم بخصوص الجينات لأنهم لم ينصحوهم بعدم إيجاب طفل آخر . وقد يغضبون على الطفل عندما يقضون الليالي الطوال دون نوم أو راحة ، وإنما في السهر والأرق . وإته لمن الطبيعي

أن يشعر الآباء بالغضب والإحباط بشكل مؤقت ربما تهدأ مشاعرهم بخصوص الطفل والظروف الجديدة . ولكن الطامة الكبرى أن يستمر ذلك الغضب دون توقف أو أن يوجه إلى الشريك الآخر ، فعندها سيكون ذلك الغضب محطماً ومدمراً ، ولن يجني الجميع منه إلا حصاد الهشيم .

وربما ألقى أحد الوالدين باللحمة على الآخر في توحديّة الطفل . فربما يلقي الأب باللوم على كاهل الأم ويزعم أن توحديّة الطفل ترجع إلى ما تناولته الأم من خمور أثناء الحمل ، أو ما دخنته من ماريجوناً أثناء الكلية . وأياً ما كان الأمر ، فإذا اعتقد الطرف المتوهم بصحة الاتهامات ، فإنه ربما يشعر بدرجات هائلة من الذنب ، في حين ينسحب الطرف اللام عاطفياً ويترك الآخر يقاسي مزيداً من الغضب والوحدة والعزلة . وفي مشهد آخر قد يغضب أحد الآباء على الطفل التوحدي لأنه قد أخل بترتيباته الوظيفية وخططه المستقبلية . ونظراً لأن هذا الطرف يشعر بالذنب لغضبه على الطفل المسكين فإنه قد يصرف الغضب ويحوّله إلى الطرف الآخر ؛ وسرعان ما ينهار الاتصال البناء ويعقبه الانسحاب العاطفي والفشل الذريع .

ويستطيع بعض الأزواج أن يتجنبوا الغضب ، ولكنهم يجدون أنفسهم ينحدرون إلى الهاوية لأن مطالب تربية الطفل التوحدي ورعايته تثقل كاهلهم ، وترهق قواهم ، وتتهك تفكيرهم ، وتبدد طاقتهم ، وتبعثر خطاهم . والحل ليس في أن يجد الزوجان الوقت الذي يقضيه كل منهما في التخفيف عن الآخر ، وإنما في خلق ذلك الوقت ؛ وليتذكر الآباء جيداً أن جميع أفراد العائلة سيعانون من العناء إذا تمكنت توحديّة الطفل من تدمير حياتهم الزوجية الزوجية ، وليس من شك في أن الجميع سيخسرون ، سيكون الطفل التوحدي أخسر الخاسرين ؛ ولذا ينبغي أن يكون الوقت الذي يقضيه الأبوان معاً هو أول أولوياتهم حتى وإن كان ذلك على حساب الوقت الذي يقضيه في تعليم وتدريب ورعاية الطفل التوحدي . وقد يكون من المفيد جداً أن يبحث الآباء عن بعض الجمعيات والمؤسسات المتخصصة في رعاية الأطفال المعوقين وذوي الاحتياجات الخاصة حيث إن تلك المؤسسات مزودة بأناس متخصصين ومدربين على العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة . وربما تقدم تلك المؤسسات العون أو النصح في رعاية الطفل التوحدي

مما يتيح للآباء بعض الراحة ولو لفترة قصيرة كل أسبوع ؛ كما أن ذلك سوف يشعرهم بالأطمئنان بعض الشيء.

ولا شك أن المشاركة في مسئولية رعاية الطفل التوحدي تعتبر أمراً مفيداً جداً للآباء حيث إنه يساعدهم على مواجهة الضغوط الإضافية . فينبغي ألا يشعر أحد الأبوين أنه منهمك في رعاية الطفل ليل نهار ولا يخرج منها . وعلى كل من الزوجين أن يساعد الآخر في تحقيق النجاح داخل الأسرة وخارجها . ومن المهم أن يحتفظ كل من الزوجين بشكل الذات الذي كان يحتفظ به قبل ميلاد الطفل التوحدي . وقد يكون مفيداً في بعض الأحيان أن يذهب أحد الآباء بمفرده إلى بعض مجموعات الدعم . حيث إن ذلك يتيح لهم الفرصة لطرح بعض الأمور التي تفرقهم وقد يتحرجون ويترددون في طرحها على أزواجهم .

وأحد الضغوط التي يجب أن يواجهها آباء الأطفال التوحديين هو القلق بخصوص مستقبل الطفل . وسواء عبر الآباء عن ذلك القلق أم لا ، فليس من شك في أنهم يقلقون على مستقبل طفلهم وينشغلون على احتمالات تربيته وحصوله على مهنة أو وظيفة يكسب منها قوته ، وقدرته على الاستقلال في المستقبل . ولعل أفضل نصيحة توجه للآباء بهذا الخصوص هي أن يعيشوا في حدود يومهم ، وإن كانوا سيحتاجون لمزيد من المعلومات عن تلك الأمور في المستقبل . وعليهم أن يركزوا على المكاسب البسيطة التي يحرزها الطفل ليشرهوه بلذة الانتصار . وأياً ما كان الأمر فعلى الآباء ألا يستغرقوا في التفكير في توصيل الطفل إلى محطته الأخيرة بحيث يحرمهم ذلك التفكير من الاستمتاع بالمراحل الممتعة في الرحلة . وليستحضروا دوماً قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

سهرت أعين ونامت عيون في شنون تكون أو لا تكون

إن رباً كفاك بالأمس ما كان سيكفيك في غدٍ ما يكون

وليس توثقوا دائماً من أن الله تعالى رحيم بنا، وهو أرحم بنا من أنفسنا، وأرحم بأبنائنا منا، وهو تعالى مليك حكيم ؛ يفعل ما يشاء في ملكه، ولا يسأل عما يفعل، ولا يفعل شيئاً عبثاً، بل لا يخلو فعل من أفعاله من حكمة بالغة، وإن كانت أبصارنا لا تراها، ولا تدركها أذهاننا. وعلينا أن نمتسلم لمراد الله استسلام

عبد لمليك حكيم رحيم . وحينها سنستمتع بكل صغيرة وكبيرة في حياتنا،
وسنبصر المنح في وسط المحن ، وسنستشعر الرحمة كل الرحمة في المواطن
التي كنا نظنها ذروة العذاب والضنك .

العائلات التي تفتقد أحد الأبوين :

لسوء الحظ يفشل الزواج في كثير من الأحيان . ورغم وجود عدة أسباب
لفشل الزواج ، فإن وجود الطفل التوحدي يلقي بظلال كثيرة من الضغوط على أي
علاقة . وفي بعض الأحيان يتهاوى الزواج -الذي كان مترنحاً أصلاً- وينهار
تحت ضربات معاول تلك الضغوط الإضافية وينوء بحملها . وعندما تحدث تلك
الضغوط الإضافية فإن أحد الأبوين سيقى وحيداً فريداً ليوافه مسئولية رعاية الطفل
التوحدي وحده . وبالطبع تفتقد أسرة الطفل التوحدي أحد الأبوين لأسباب أخرى .

وعندما يقوم أحد الأبوين برعاية الطفل التوحدي ويتولى المسئولية وحده،
فإنه يواجه نفس المدى من التفاعلات والاحتياجات الذي يواجهه الزوجان . وربما
تكون المواجهة أصعب لأن الوالد سيتخذ كثيراً من القرارات وحده . وربما
يستطيع ذلك الوالد أن يقلل من عبئه ويخفف من حملة بأن يطلب العون من
شخص يثق فيه . ويمكنهم في ذلك الرجوع إلى صديق حميم ، أو أحد الأشقاء،
أو معالج نفسي، أو أخصائي اجتماعي . وأهم شيء في الأمر هو أن يوجد من
يتحدثون إليه ، ويسهل الوصول إليه بشكل مستمر ، وبوسعهم أن يقدم لهم الدعم،
ولا يخاف أن يناقشهم في قراراتهم . فمجرد معرفة الآباء أن هناك من يناقشون
معه اهتماماتهم ، يمكن أن تقتل وتخفف مشاعر الوحدة والوحشة التي تسيطر
على كثير من الآباء .

خاتمة :

إن أسرار التكيف مع وجود طفل توحدي ليست في الواقع أسراراً على
الإطلاق . وإذا حاول الآباء أن ينظروا إلى طفلهم التوحدي على أنه شخص
توحدي ، فربما يقطعون طريقاً طويلاً وعراً نحو تطبيع حياتهم الأسرية . والحق
أن الطفل التوحدي يمكن أن يكون لديه بعض الاحتياجات ونقاط القوة التي تختلف
عن احتياجات أفراد الأسرة الآخرين ونقاط قوتهم ، ولكن الطفل التوحدي لا زال

فرداً له إسهاماته الفريدة التي يمكن أن يقدمها للحياة الأسرية ، ولا يستطيع أحد سواه أن يقدمها . وبمزيد من الصبر الجميل والعمل الدؤوب والنفس الطويل والتشجيع على العمل القليل والإنجاز البسيط يمكن أن يصبح ذلك الطفل عنصراً فعالاً وحيوياً وجوهرياً في الأسرة . وتحت قيادة الأب ذي الحب الكبير والقلب الرحيم ، والعقل السليم المستنير والإرادة القوية تصبح الأسرة فريقاً من العمل أشبه بمملكة النحل ؛ وفي تلك الأجواء يجبر قلب الطفل للكسير وتقل عثرته ، وينهض من كبوته .

أما إدراك الأسرة واعتقادها بأن توحيدية الطفل لا سبيل للخلاص أو الفكك منها فيعتبر ضربة قاسية وقاصمة للأسرة . وربما تعتقد بعض الأسر أن العيش بعد ذلك الخبر مستحيل ، ولكن الحق أن كثيراً من أسر الأطفال التوحديين قد عاشت وشقت طريقها ووصلت لبر الأمان ، وكثيراً ما تلعب تلك الأسر وتمرح وتصرخ وتضحك وتعمل وتنمو مثل باقي الأسر وربما أفضل منها في كثير من الأحيان . ولكن الأمر بالنسبة لأسر الطفل التوحدي أكبر من ذلك ؛ فوجود الطفل التوحدي في الأسرة يعظم أفراد الأسرة دروساً أعلى وأعلى وأرفع وأروع، دروساً ربما لا تتاح الفرص لأفراد الأسر الأخرى أن يتعلموها ؛ مثل الحب ، والالتزام، والرحمة ، والتضحية ، والكرامة ، والرضا ، والتسليم لمراد الله، وصلى اللجوء إليه والتضرع إليه

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول:

« فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره ، فيحصل لهم من التوكل عليه ، والإجابة إليه، وحلاوة الإيمان ، وذوق طعمه، والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمةً عليهم من زوال المرض والخوف، أو الجذب، أو حصول اليسر وزوال الضر في المعيشة فإن تلك لذات بدنية، ونعم دنيوية قد يحصل للكفار منها أعظم مما يحصل للمؤمنين. وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يعبر عن كنهه مقال، أو يستحضر تفصيله بال ، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه ولهذا قال

بعض السلف : يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك وقال بعض الشيوخ إنه ليكون لي إلى الله حاجة فادعوه فيفتح لي من لذيق معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحب معه أن يعجل قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك لأن النفس لا تريد إلا حظها ، فإذا قضى انصرفت ، وفي بعض الآثار : يا ابن آدم البلاء يجمع بيني وبينك ، والعافية تجمع بينك وبين نفسك .

خلاصة القول أن وجود الطفل التوحدي أو الطفل المعوق بصفة عامة في الأسرة يمكن أن يكون سبباً في تشريف وتكريم الأسرة بأسرها . ويمكن أن يكون وساماً على صدرها ، وليس وصمة في جبينها . ويشهد لذلك كلمات أم لطفل توحدي عاشت التجربة، وأصقلتها التجربة ، وعبرت عن تجربتها بقولها: " إن تجربة تربية طفل توحدي والتي أجبرنا على القيام بها دون أن نختارها ، والتي كنا على استعداد لأن نضحى بأي شيء ، وبكل شيء لنتجنبها ، قد خلقت منا أناساً مختلفين ، وغيرتنا إلى الأفضل. ومن خلالها تعلمنا دروساً لا يتعلمها أحد بكامل إرادته، تعلمنا ذلك الدرس البطيء القاسي.. أن هناك من ينمو بالعناء والتضحية ... وإني الآن أقول بكل ما تحمله الكلمة من معنى .. أنه لو قدر لي اليوم أن أختار بين قبول التجربة ، بكل ما تحويه بين طياتها من عناء ومرارة ، وبين رفضها، فلسوف أبسط ذراعي وأستقبلها بصدر رحيب ؛ فمنها خرجت لنا وللجميع حياة لم نكن نحلم بها، ولا يمكن أن تخطر على قلب بشر. " فسبحان من يخرج الحي من الميت، ويخرج النور من رحم الظلام، ويخلق الأفراح من قلب الأحران والأتراح.